الأمن في ظل الإسلام

الناشر: المكتب المصرى الحديث
٢ شارع شريف عمارة اللواء بالقاهرة تليفون ٧٥٤١٢٧
٧ شارع نوبار بالاسكندرية تليفون ٢٦٦٠٢

عبد الحميد كشك

الأمن في ظل الإسلام

الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ القرآن الكريم

المكتب المصري الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وأصلى وأسلم صلاة وتسليما يليقان بمقام أمير الأنبياء وامام المرسلين وأشهد أن لا اله الا الله ولى الصالحين وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمدا خاتم الأنبياء والمرسلين ، صل اللهم وسلم وبارك على هذا النبى الأمين وعلى آله وصحابته الغر الميامين ، وأرحم اللهم مشايخنا ووالدينا وأمواتنا وأموات المسلمين أجمعين ، أما بعد .

فان الأمن هو النعمة العظمى بعد الايمان بالله لذا فان الله تعالى سمى نفسه المؤمن أن الذى يؤمن عباده ويكفى الأمن شرفا وقدرا أنه من أسماء الله تعالى الحسنى ولقد قدمه الله تعالى على نعمة الرزق فقال : « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان » وجعل الله الأمن كلمة جامعة وافية كافية شافية جزاء » للمؤمنين فبعدما سأل القرآن هذا السؤال : « فأى الفريقين أحق بالأمن » أجاب فى صراحة ووضوح وشموخ ورسوخ وبزوخ قائلا : « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » وقد وصف الله تعالى دار الخلد بأنها مقام أمين. فقال عز من قائل: « ان المتقين فى مقام أمين»

فى جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين » .

ووصف أهل الخلد بأنهم آمنون فقال : « يدعون فيها بكل فاكهة آمنين » ولقد امتن الله تعالى على قريش بالأمن من الخوف فقال: « الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف» وقال : « أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا » وقال « أو لم نمكن لهم حرما آمنا » . والحقيقة أنه لا حياة مع الخوف اذ تتحول الدنيا بلا أمن الى أرض مسبعه يفترس القوى فيها الضعيف وتصبح الحياة ظلمات بعضها فوق بعض كأنها بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب . والحياة مع الأمن تصير جنات ظلالها وارفه يتبوأ الانسان فيها حياة طيبة مباركة ويعيش عيشة راضية يثمر وينتج يصون ولا يبدد ويحمى ولا يهدد يتفيأ ظلال الحرية ويأخذ مكانه تحت الشمس لذلك فان الاسلام هو دين الأمن والأمان والعزة والكرامة والاخاء والمساواة والحرية والرفعة فلنعمل جميعا على تحقيق هذه النعمة العظمى نعمة الأمن ولمثل هذا فليعمل العاملون وفى ذلك فليتنافس المتنافسون وعلى الله فليتوكل المؤمنين وطوبى للمخلصين ، أولئك مصابيح الهدى تنجلى عنهم كل فتنة ظلماء والله المستعان وعليه التكلان .

عبد الحميد كشك

اهمية الأمن :

حقا ان الأمن كلمة خفيفة على اللسان عميقة الوجدان مطمئنة للجنان ، انه فعلا نعمة عظمى وغاية يسعى اليها كل انسان ، بل هو مطلب أساسى لا تستقيم الحياة بدونه ، وضعه الحق سبحانه وتعالى جنبا لجنب مع المطلب الأول الذى يسعى اليه كل كائن حى وهو الطعام بل انه سبحانه جل شأنه قدم نعمة الأمن على نعمة الرزق فقال :

« وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان » .

ولم يمن الحكيم الخبير على قريش بنعمة كما من عليها بأنه أطعمها من جوع وآمنها من خوف . فقال جل شأنه : .

« فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خـــوف » .

[قريش ٤]

« أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شىء »

[القصص ٥٧]

« واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا » .

[البقرة ١٢٥]

بل ان العلى القدير جعل الأمن هو غاية المنى والجزاء الأوفى لمن جاهدوا فى الله حق جهاده واستمسكوا بالعروة الوثقى واتبعوا طريق من سبقونا بالايمان لم يبالوا بما فيه من صعوبات ومشقات فقال :

« الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » .

[الأنعام ٨٢]

لماذا ؟ لأنهم خافوا مقام ربهم فجعل الأمن عاقبة أمرهم لأنه قال وقوله الحق فى حديثه القدسى :

« لا أجمع لعبدى أمنين ولا خوفين أبدا . ان هو أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة . وان هو خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة » .

فما هو الأمن الذى نال هذه المكانة العظمى ، وجعله الله أسمى الغايات للمؤمنين يتجاوب معه كيانهم وتتشوق اليه أرواحهم وتتطلع اليه أفئدتهم ؟ .

هل هو الطمأنينة ؟ هل هو السعادة ؟ أهو الاستقرار العائلى والوظيفى ؟ أهو ضمان الرزق والعيش فى رغد من الحياة ؟ أهو أمن الدولة بالمحافظة على حدودها الخارجية وعدم القلقلة والاضطرابات داخليا ؟ أم هو أمن النفس البشرية وحمايتها من تيارات العواصف التى تطيح بها وتجعلها تئن تحت الضغوط الدنيوية وتسبب لها القلق والضياع .

أسئلة كثيرة تدور فى أعماق كل انسان تجعله يتحير فى اختيار اجابة محددة واضحة المعالم عن الأمن ، ليس هذا فقط بل انها تصبغ حياة الناس بصبغة معينة تجعل كلا منهم يتحرك فى كل اتجاه ويجرى وراء كل ما يتصور أنه يحقق له الأمن . ومن مجموع هذا الانسان تتكون المجتمعات فالشعوب فالدول. وتتحدد العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

وبالتالى فلنا أن نتصور خطورة الموقف فى تحديد مفهوم الأمن لأنه بناء على هذا المفهوم ستدور عجلة الحياة ان خيرا أو شرا وسوف تتشكل العلاقات الداخلية والخارجية لكل دولة على حدة ثم تتشكل العلاقات الدولية بين الأمم والشعوب .

ولذلك سنحاول باذن الله أن نوضح ما وسعنا الجهد مفهوم الأمن ثم نوضح المنهج الاسلامى فى الأخذ بالنفس

الانسانية نحو أمن الدنيا وأمن الآخرة حتى اذا جاء أجلها سعت الى ربها فرحة مستبشرة بقوله الحق :
« يا أيها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » .

مفهوم الأمن عند الناس :

نظرا لأن الأمن هو احساس داخلى فى النفس البشرية يدعمه الواقع العملى فانه من الصعب بمكان ما على الانسان أن يحدد مفهوما واضح المعالم للأمن ، لأن هذا المفهوم يختلف من انسان لآخر حسب قدراته النفسية والعقلية وظروفه الاجتماعية والاقتصادية . كما أن هذا المفهوم أيضا يتغير من دولة لأخرى حسب وضعها الجغرافى وظروفها السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

فاذا سألنا كل واحد منا هذا السؤال : كيف يتحقق لك الأمن؟ نجد أن الاجابات قد تنوعت تنوعا لا حد له : فالبعض يرى أن الأمن من وجهة نظره هو الا يخاف على نفسه وولده من التعرض للسرقة أو الخطف أو القتل سواء فى منزله أو الطرق التى يسير فيها ، أو وسائل النقل العامة أو المتنزهات ، أو فى أى مكان حل فيه أو ارتحل عنه ، بمفرده أو مع أهله وأحبابه وأصدقائه .

والبعض الآخر يرى أن الأمن هو ألا يتعرض لاهمال جسيم يودى بحياته هباء اذا مرض أو أصيب فى حادث هو أو أى فرد من أفراد أسرته فيجد الدواء متوفرا فى متناول يده ويجد المستشفى الذى ينتقل اليه بسهولة ويسر ، ويجد القلب الرحيم والرعاية اللازمة التى تنقذ حياته أو حياة أحبائه فيشعر أنه انسان ينتمى لوطن غال يقدر قطرات العرق والجهد الذى يبذله فى ادارة عجلة الحياة والانتاج .

ـ وهناك بعض ثالث يرى أن الأمن هو ألا يشعر أنه مهدد فى رزقه ومستقبله وأن هناك من القوانين الاجتماعية

ما يحميه فى حالة الشيخوخة والمرض أو فى حالة أن يطرده صاحب العمل فى أى وقت يشاء بدون أى ذنب يجنيه سوى انه يقول الحق ولا شىء غير الحق .

ـ وهناك من يرى أن الأمن فى جمع المال فيجرى وراء جمعه بشتى الطرق لا يهمه فى ذلك من أى الطرق جمعها حلالا كانت أم حراما ، ولا يهمه فى أى الطرق أنفقها أكانت فى مرضاة الله أم فى مرضاة نفسه وشهواته وأطماعه .

ـ وهناك النساء وهن نسبة كبيرة فى المجتمع لها وزنها وثقلها الذى لا ينكره أحد ، فهن المدرسة التى تخرج الاجيال التى تحمل على سواعدها بناء المجتمع وفى رعايتهن الرعاية الطيبة اعداد شعب طيب الأعراق . هؤلاء النساء يرون ان الأمن هو الا تعيش الواحدة منهن مهددة فى مستقبلها يعتصرها الخوف من أن تجد نفسها فجأة مطلقة ومحرومة من أعز ما لديها وهو فلذات اكبادها ، أو تجد نفسها شريدة وحيدة لا تجد القوت الذى يكفيها وبالتالى عليها أن تخوض غمار الحياة تصارع أمواجها لتحافظ على كيانها كانسانة وعلى عقيدتها ومبادئها التى تمنعها من الانحراف.

ـ وهناك ذوو الحساسية المرهفة والأخلاق النبيلة يرون أن الأمن هو الا يرى الناس حوله تتعارك لأتفه الأسباب والا يدب الشجار الذى يتقاذف فيه الناس الشتائم على مسمع ومرأى من أطفالنا بما يتنافى مع أبسط قواعد الدين والإخلاق .

ـ وهناك من يرى الأمن فى الا تضيع حقوق بين المحاكم اذا اقتضاه الأمر للتقاضى ويجد القاضى العادل المنصف الذى يحكم بالحق فلا تميل بيديه احدى كفتى الميزان، فيشيع الظلم وهو المعول الأساسى فى انهيار المجتمعات .

ـ وهناك من يرى الأمن فى العدالة الاجتماعية حيث لا محسوبية ولا رشوة ولا نفاق ولا تفاوت رهيب فى توزيع الدخول يؤدى الى سيطرة طبقة على أخرى بحيث

يصبح حينذاك فئة طاغية من كثرة المـال الذى يزيد عن الحد وفئة مطحونة من شـدة الفقـر وهى تمثل الغـالبية العظمى من الشعب . وبالتالى تفقد الحافز على الانتاج لأنها مهما تعبت فان الهوة ستظل كبيرة حيث الفقر حركة تراكمية لأسفل والغنى حركة تراكمية لأعلى(*) .

وهذا يؤدى الى تدهور البنيان الاجتماعى فى الدولة فيفقد الجميع الاحساس بأى نوع من أنواع الأمن .

ـ كثيرون وكثيرون فى المجتمع كل منهم تدور فى أعماق مفاهيم معينة عن الأمن . ولو أن الغالبية العظمى منهم تتصور أن هذا الأمن لابد وأن يتحقق مع التقـدم والرفاهية وتطبيق الديمقراطية الغربية .

فاذا كان الأمر كذلك كما يتصورون . فلم تعانى معظم الشعوب الأوروبية وشـعوب الولايـات المتحدة الأمريكية الاحساس بفقدان الأمن ؟ رغم أن تقدمها يمثل حلما لكل الدول المتخلفة وتمثل ديمقراطيتها قمة مشاركة الشعوب فى صنع قراراتها المصيرية بنفسها وأعلى درجة من الرقابة الشعبية على الحكام مما تتباهى به تلك الدول نفسها على شعوب الكرة الأرضية بأسرها !! .

ومع ذلك نجـد أن العذاب النفسى والشقاء الروحى والشذوذ الجنسى والانحـلال الخلقى الـذى تقاسى منه هذه الأمم اليـوم ، ليكاد يغطى على الانتاج والرخاء والمتاع . وليكاد يصبغ الحياة كلها بالنكد والقلق والشقاء وفقدان الأمن بكل معانيه .

واذا كان الله قد رفع عـذاب الاستئصال بعد بعثة رسول الله صـلى الله عليه وسلم فهناك الـوان من العذاب

---

(١) راجع كتب الاقتصاد فى التنمية وبصفة خاصة كتاب د. زكى شافعى

باقية والبشرية تـــذوق منها الكثير اذا بعدت عن منهج الله لأن ســـنة الله فى الكون هى مصداق قوله تعالى :

« فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبـــواب كل شىء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون » .
[الأنعام ٤٤]

اذن فالأمن الحقيقى هو فى منهج الله العظيم الـــذى نزل به الروح الأمين على قلب سيد الخلق وامام المرسلين ليكون رحمة للعالمين وهـــذا ما خاطبه به أصدق القائلين حيث قال :

« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .
[الأنبياء ١٠٧]

« فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة » .
[الأنعام ٥٤]

« ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » .
[النحل ٨٩]

« فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة » .
[الأنعام ١٥٧]

« وشفاء لمـــا فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين »
[يونس ٥٧]

« ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك » .
[آل عمران ١٥٩]

ذلك الرسول الـــذى اجتمعت حوله القلوب فأشاع فيها الأمن حتى وصـــف بأنه نبى الرحمـــة وقال فى مدحه الشعراء :

فاذا رحمت فأنت أم أو أب هذان فى الدنيا هما الرحماء

ولنا أن نتخيل مجتمعنا دستوره الرحمة وملجأه الرحمن الرحيم أى أمن وأى طمأنينة تشيع فيه . حقا ان الاسلام وضع مفهوما للأمن تتطلع اليه القلوب وتشرئب اليه الأرواح

لأنه من عند حكيم خبير ، حدده فى آيات قرآنية تشـــع نورا وبهاء فقال جل شأنه :

« فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى .ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ، وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى » .

[طه ١٢٣ : ١٢٧]

مفهـــوم الأمن الاســـلامى

ان مفهوم الأمن الاسلامى عميق كل العمق شامل كل الشمول يتناول الانسان نفسا وروحا وجسدا ، يتناول واقعه العملى وهو الدنيا التى يعيش فيها ومعاده الأزلى وهى آخرته التى سيرجع اليها .

انه باختصار شديد جـــدا ينبع من نفسى تلك الحروف التى تتكون منها كلمة الأمن : فكل حرف فى القرآن له معنى وله غرض يسعى الى تحقيقه فى الوجود . ولذلك فان الله سبحانه جل شأنه تحدى الانس والجن فى أن يأتوا ولو بسورة واحـــدة منه وكيف يتأتى لهم ذلك والحرف الواحد ان تغير موضعه أخل بمعناه فى اللوح المحفوظ وتغير عمله فى الكون وانتفى الغرض الـــذى نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين ليكون رحمة للعالمين . وها هو الشيخ العارف بالله سيدى عبد العزيز الدباغ يحدثنا بما فتح الله عليه عن معانى تلك الحروف فىالقرآن العظيم فيقول رضى الله عنه(*):

للهمزة الامتثال وللباء السكينة وللتاء كمال الحواس الظاهرة وللثاء الانصاف وللجيم الصبر وللحاء الرحمة الكاملة وللخاء ذوق الأنوار وللدال الطهارة وللذال معرفة اللغـــات وللراء حسن التجاوز وللزاى الصـــدق مع كل أحد وللطاء التمييز وللظاء نزع خط الشيطان وللكاف معرفة الله تعالى وللام العلم الكامل وللميم الذكر وللنون الفرح الكامل وللصاد العقل الكامل وللضاد قول الحق وللعين العفو وللغين كمال الصورة وللفاء الحمل للعلوم وللقاف البصيرة وللسين خفض جناح الذل وللشين القوة الكاملة فى الانكماش وللهاء النفرة

(*) كتاب الابريز ص ٥٥ مكتبة محمد على صبيح واولاده

عن الضد وللواو يموت وهو حى وللام الف عـــدم الغفلة ولليـاء التى هى آخر الحروف الخوف التام من الله عز وجل .

وهكذا فان حروف كلمـــة الأمن بمعناها الحقيقى فى القرآن تعطينا المفهوم الحقيقى للأمن كما جاء به الاسلام غاية وبشرى للمؤمنين :

« الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » .

[الانعام ٨٢]

ومما سبق يتبين لنا أن معنى تلك الحروف التى تتكون منها كلمة الأمن (أ.م.ن) هو :

الهمزة فللامتثال . الميم : للذكر . النون : للفرح الكامل اى ان الأمن هو فى الامتثال لأمر الله وهو فى ذكر الله وهو فى الفرح الكامل غير المنقوص وسنتناول بالتفصيل ان شاء الله معنى كل حرف على حدة وكيف يتحقق فيه الأمن :

أولا : الحرف الأول من كلمة الأمن وهو الهمزة للامتثال.

أى أن الأمن هو فى الامتثال لأمر الله . لأن تســـليم الوجه لله وحده يحمى المسلم من كل عواصف القلق التى تتنازعه والصراعات التى يتعرض لها لأن فطرة الله التى فطر الناس عليها تؤمن بأن الخالق واحد ، وأى تغيير لتلك الفطرة يؤدى الى ضـــياع النفس البشرية وتشتتها بحثا عمن بيده أمرها :

« ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هـــل يســـتويان مثلا ، الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون » .

[الزمر ٢٩]

● ان الامتثال لأمر الله وتطبيق منهجه معناه الاستمساك بالعروة الوثقى. معناه التقدم والرقى، معناه التطلع الى كل ما هو سام وكل ما يحقق للنفس طموحها وآمالها وبالتالى

امنها واى تطبيق لغير قانون الله فى الحياة يـؤدى الى اختلال الواقع العملى وظهور جميع عوامل التأخر الاجتماعى والاقتصادى والسياسى :

« فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها » .

[البقرة ٢٥٦]

« ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الأمور » .

[لقمان ٢٢]

● ان اسـلام الوجه لله معنـاه الأمن وقت الشدة ومعناه النجاة من كل كرب يعترض الانسان فى دنياه أو أخراه حين يعز الحبيب والطبيب :

« واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه » .

[الاسراء ٦٧]

« وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شىء قدير » .

[الانعام ١٧]

● ان اسلام الوجه لله معناه الأمن النابع من رحمة الله لأنه يعيش فى كنف الله :

« ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها » .

[فاطر ٢]

انه ذلك الدرس العظيم الذى يعلمنا اياه معلم البشرية الأعظم فى كلمات تشعنورا وضياء تملأ الكون سناء وبهاء قال صلى الله عليه وسلم :

« اذا استعنت فاستعن بالله . واذا سألت فاسأل الله واعلم انه لو اجتمعت الأمة على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك . ولو اجتمعت على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك » .

ـ ان الامتثال لأمر الله معناه الرضا بالقضاء والقدر

معناه الأمن من الهم والحزن معناه الأمن من الخوف من المجهول لأن المؤمن يردد دائما فى يقين وايمان :

« قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » .

[التوبة ٧١]

ويرددون أيضا :

ويا فؤادى تلك دنيا الخيال فلا تنؤ تحت الهموم الثقال
سلم له الأمر فمحو الذى خطت يدى الأقدار أمر محال

وبذلك ينالون وعد الله الحق :

« أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه » .

[المجادلة ٢٢]

ان الامتثال لأمر الله معناه الأمن من الخـــوف فى الجهاد سواء كان الجهادالأصغر وهو جهاد العدو ، أو الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس لأن المؤمنين يسيرون دائما بخطوات ثابتة وعزم صادق وارادة لا تلين لأنهم يستشعرون فى وجدانهم دائما قول الله سبحانه وتعالى :

« كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز » .

[المجادلة ٢١]

ولذلك فقد تحرر هؤلاء المؤمنون من كل أنواع الخوف الا الخوف من الله :

« الذين قال لهم النـــاس ان الناس قد جمعـــوا لكم فأخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء » .

[آل عمران ١٧٣]

بل ان هؤلاء المؤمنين لم يتحرروا فقط من الخوف ، انهم رفعـــوا رأسهم عاليا معتزين بانتمائهم الى دين شعاره العزة والسمو :

« ولله العزة ولرســـوله وللمؤمنين ولـــكن المنافقين لا يعلمون » .

[المنافقون ٨]

« ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين ».
[آل عمران ١٣٩]

ان اسلام الوجه لله معناه الأمن على الرزق والتحرر من خوف الفقر لأن الله سبحانه وتعالى بيده مفاتيح السموات والأرض :

« وفى السماء رزقكم وما توعدون » .
[الذاريات ٢٢]

« ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض » .
[الأعراف ٩٦]

حقا أخى المسلم ان الأمن والأمان فى اسلام الوجه لله والامتثال لأوامره واجتناب نواهيه واتباع منهجه القويم فذلك هو الطريق الوحيد أمام النفس البشرية لتشعر بالطمأنينة التى تنشدها . وهذا الامتثال ليس منة ولا تفضلا من الانسان المسلم بل هو أمر الهى لمن اتبع رضوان الله ورضى بالاسلام دينا :

« قل ان هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين » .
[الأنعام ٧١]

كن عن همومك معرضا ... وكل الأمور للقضا
وانعم بطول سلامة ... تسليك عما قد مضى
فلربما اتسع المضيق ... وربما ضاق الفضا
ولرب أمر مسخط ... لك فى عواقبه رضا
الله يفعل ما يشاء ... فلا تكن متعرضا

وقبل أن نختم حديثنا فى هذا المجال لا يفوتنا أن نعرض ذلك الحديث القدسى الجليل الذى يبين عظمة الامتثال لأمر الله فى تحقيق الأمن للنفوس البشرية .

يقول رب العزة جل شأنه : « عبدى أنت تريد وأنا

أريد ولا يكون الا ما أريد فان سلمت لى فيما أريد كفيتك ما تريد وان لم تسلم لى فيما أريد اتعبتك فيمـــا تريد ولا يكون الا ما أريد » .

وفى حديث قدسى آخر يقول سبحانه وتعالى : « أنا الله لا اله الا أنا مالك الملك وملك الملوك . وقلوب الملوك فى يدى ».

الهى : اذا كانت القلوب بيدك فأنى لنا الأمن يا مقلب القلوب الا باسلام الوجه لك كما أمرتنا على لسان رسولك الكريم صلوات ربى وسلامه عليه :

« وأنيبوا الى ربكم واسـلموا له من قبل أن يأتيكم العـذاب » .

[الزمر ٥٤]

« فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن » .

[آل عمران ٢٠]

وهكذا فان الامتثال يوفر على الانسان المسلم عوامل القلق النفسى من الاحساس بالضياع والجزع والهلع فى الشدائد والمصائب ويحقق للنفس المؤمنة أجمل أحاسيس الأمن المشرقة المضيئة لأن تلك النفس تترنم بذلك الامتثال مرددة :

لا الأمـــر أمـــرى ولا التدبـــير تدبـيرى
ولا الشـــئون التـى تجـــرى بتقـــديرى
لـــى خـــالق رازق ما شـــاء يفعـل بى
أحـــاط بـــه علمـــه مـــن قبـل تصـويرى

وتردد أيضا بيقين الايمان الذى يثلج الصدور :

تذكـــر جميـلا منـــذ خلقتـك نطفـــة
ولا تنسى تصـــويرى ولطفى فى الحشـــا
وســـلم الـــى الأمـــر واعلـــم بأننى
أدبـــر أحـــكامى وأفعـــل ما اشـــا

ثانيا – الحرف الثانى من كلمة الأمن وهو الميم للذكر :

اذا تكلمنا عن فائدة الذكر فى تحقيق الأمن للنفس البشرية فلن يكفينا مئات الصفحات فالله سبحانه وتعالى يقول وهو أصدق القائلين :

« الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب » .

[الرعد ٢٨]

أى أن الأمر متعلق بثلاثة أمـور يعجز القلب أن يوفيها حقها لأن لكل منهـا درجات تشرئب اليها الأعناق وفيهـا يتنافس المتنافسون . تلك الأمور الثلاثة هى :

الايمان بالله أولا .
ذكر الله ثانيا .
اطمئنان القلوب ثالثا .

ويهمنا هنا ذكر الله لأنه الوسط بين تلك الأمور ، فهو يتوقف على درجة الايمان بالله وعليه يتوقف اطمئنان القلوب وتحقيق الأمن فى المجتمع المسلم . والا لمـا أعطاه رسول الله صلوات ربى وسلامه عليه تلك المكانة الرفيعة الفريدة حيث قال :

« الا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قلنا بلى . قال ذكر الله » .

لماذا نال ذكر الله تلك المكانة الرفيعة ؟

لأن ذكر الله معناه الاتصال بين العبد وربه فاذا تحقق ذلك الاتصال فهذا معناه تزكية النفس وتطهير القلب وايقاظ الضمير قال تعالى :

« وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر » .

[العنكبوت ٤٥]

أى أن ذكر الله فى النهى عن الفحشاء والمنكر اكبر من دور الصلاة فى ذلك لأن الذكر أعم من الصلاة لأنه مطلوب فى كل وقت كما قال الحق جل وعلا :

« الذين يذكرون اللـــه قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » .

[آل عمران ١٩١]

وذكر الله معنـــاه استحضـــار عظمة الله فى قلب العبد يتعاون فى ذلك حواس الانسان واحساساته : فذكر العينين البكاء . وذكر اليدين العطاء . وذكر الأذنين الاصغاء. وذكر اللسان الثنـــاء . وذكر البدن الوفاء . وذكر الروح الخوف والرجاء . وذكر القلب التسليم والرضاء . والذاكر حين ينفتح لربه جنانه ويلهج بذكره لسانه ، يمده الله بنور من عنده فيزداد ايمانا الى ايمانه ويقينا الى يقينه فيسكن قلبه للحق ويطمئن به . واذا اطمأن القلب للحق اتجه نحو المثل الأعلى وأخذ سبيله اليه دون أن تلفته عنه نوازع الهوى ولا دوافع الشهوة.ومن ثم عظم أمر الذكر وجل خطره فى حياة الانسان المسلم وبالتالى فى حياة المجتمع المسلم .

فذكر الله معناه كيف يكون المسلم انسانا حقا فى البيع والشراء ، فى العلم والعمل ، فى تأدية الواجبات وأخذ الحقوق، فى الصلاة والصوم والحج وأداء الزكاة ، فى الزواج والطلاق ، فى الجهاد والسفر ، فى الغنى والفقر والسقم والصحة والسر والعلانية و .. »

انه باختصار حياة الانسان الحياة اللائقة به كخليفة الله فى الأرض ، وصدق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حين قال : « مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر مثل الحى والميت » .

رواه البخارى .

وهذا القول للصادق المعصوم نابع من قول الحـــق جل وعـــلا :

« ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا » .

[الفرقان ١٨]

كيف يحقق ذكر الله الأمن ؟

بعد ما عرفنا المفهوم الحقيقى للذكر فاننا يمكن أن نعرف بوضوح كيف يحقق ذكر الله الأمن . يقول الحق تبارك وتعالى فى أحاديث قدسية جليلة تبين أهمية اتصال العبد بربه ليحقق لنفسه الأمن الذى ينشده :

ـ انى لأهم بأهل الأرض عذابا فاذا نظرت الى عمار المساجد والمستغفرين بالاسحار صرفت العذاب عنهم .

ـ أنا الله لا اله الا أنا مالك الملك وملك الملوك . قلوب الملوك فى يدى . وان العباد اذا أطاعونى حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة . وان العباد اذا عصونى حولت قلوب ملوكهم عليهم بالسخط والنقمة فسلطوهم سوء العذاب . فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على ملوككم ولكن اشغلوا أنفسكم بذكرى والتقرب الى أكفكم ملوككم .

ـ ابن آدم تفرغ لعبادتى أملأ صدرك غنى وأسد فقرك والا تفعل ملأت صدرك شغلا ولا اسد فقرك .

ـ يا ابن آدم خلقت السموات والأرض لم أعيى بخلقهن أفيعيينى رغيف أسوقه اليك كل حين ، يا ابن آدم لى عليك فريضة ولك على رزق فان خالفتنى فى فريضتى لم أخالفك فى رزقى . وعزتى وجلالى ان لم ترض بما قسمت لك لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش فى البرية لا ينالك منها الا ما قسمته لك ولا أبالى .

ـ ابن آدم عندك ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك . لا بقليل تقنع ولا من كثير تشبع . اذا كنت معاف فى بدنك آمنا فى سربك ، عندك قوت يومك فقد حيزت لك الدنيا بحذافيرها .

وتدعيما لهذا المنهج فى أهمية اتصال العبد بربه لتحقيق الأمن . قال المصطفى صلوات ربى وسلامه عليه :

ـــ من أعطى فشـــكر ومنع فصـــبر وظلم فغفر وظلم فاستغفر . فأولئك لهم الأمن وهم مهتدون .

ـــ من أصبح حزينا على الدنيا فقد أصبح ساخطا على ربه ومن شكى مصيبة نزلت به فكأنما يشكو الله عز وجل . ومن قعد الى غنى لينال منماله فقد ذهب ثلثا دينه .

ـــ من أصبح وهمه الدنيا فرق الله عليه شمله وجعل فقره بين عينيه ولا ينال من الدنيا الا ما كتب الله له . ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله شمله وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة .

صدقت يا سيدى يا رسول الله يا من بلغت عن رب العزة الحكيم الخبير . نشـــهد انك بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وكشفت الغمة وأخرجنا الله برسالتك من ضيق الدنيا الى سعة الآخرة ومن الظلمات الى النور ومن القلق الى الطمأنينة :

ـــ فذكر الله هو الفلاح والنجاح والرقى الـــذى تنشده الشعوب والأمم :

« قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى » .

[الأعلى ١٥]

« وابتغوا من فضـــل الله واذكروا اللـــه كثيرا لعلكم تفلحون » .

[الجمعة ١٠]

ـــ وذكر الله هو الأمن من سيطرة الشهوات على النفس البشرية :

« والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله » .

[آل عمران ١٣٥]

انه الحماية من اغواءات الدنيـــا والشيطان ونوازع النفس والهوى .

انـــى بليـــت بأربـــع يرمينـــى
بالنبـــل عـــن قـــوس لهـــا تـــوتير
ابليس والدنيـــا ونفسى والهـــوى
يـــارب انـــت عـــلى الخـــلاص قـــدير

ـــ وذكر الله هو الأمن من نزول الشياطين علينا وهو العلاج فى حال نزولها :

« هل أنبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل أفاك أثيم » .

[الشعراء ٢٢١ ، ٢٢٢]

« الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا »

[الشعراء ٢٢٧]

« ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين » .

[الزخرف ٣٦]

« استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله » .

[المجادلة ١٩]

ـــ وذكر الله معناه المعية مع الله وفى هـــذا الأمن كله والعز كله :

« فأذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون » .

[البقرة ١٥٢]

وقد فسر الحق هـــذه المعية فى حديث قدسى مهيب لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد :

فقال جل ذكره :

« انا عند ظن عبدى بى وانا معه اذا ذكرنى : فان ذكرنى فى نفسه ، ذكرته فى نفسى ، وان ذكرنى فى ملأ عنده ، ذكرته فى ملأ خير منه.وان تقرب الى شبرا ، تقربت اليه ذراعا . وان تقترب الى ذراعا تقربت اليه باعا . وان أتانى يمشى أتيته هرولة » .

ـــ وذكر الله معناه شكر الله على نعمائه وهذا الشكر

يحقق الأمن للنفس التى ترجع الى بارئها فى كل أمورها معترفة بنعمته مقرة بفضله :

« أو لا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبلولم يك شيئا».

[مريم ٦٧]

« اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك » .

[المائدة ١١٠]

« لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه » .

[الزخرف ١٣]

« ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام » .

[الحج ٢٨]

ـــ وذكر الله معناه الأمن والعلاج من النسيان والأمراض الأخرى :

« واذكر ربك اذا نسيت » .

[الكهف ٢٤]

« واذكر عبدنا أيـــوب اذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب » .

[ص ٤١]

« رب مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين . لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين » .

وذكر الله معناه الأمن من انحراف العقيدة أو زيغها :

« خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون » .

[البقرة ٦٣ ، الأعراف ١٧١]

« واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة » .

[الأعراف ٢٠٥]

« واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا » .

[المزمل ٨]

« واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا » .

[الانسان ٢٥]

« واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة » .
[الأحزاب ٣٤]

« رجال لا تلهيهم تجـــارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة » .
[النور ٣٧]

ـــ وذكر اللـــه معناه الأمن وقت الشـــدائد والمواقف الحرجة :

« يا أيها الذين آمنـــوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا » .
[الانفال ٤٥]

« واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون » .
[الأنفال ٢٦]

ـــ وذكر الله معناه الأمن فى المأكل والمشرب :

« فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين » .
[الأنعام ١١٨]

« وما لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه » .
[الأنعام ١١٩]

« فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله » .
[الأنفال ٦٩]

« كلوا من طيبات مارزقناكم ولا تطغوا فيه » .
[طه ٨١]

« يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا » .
[المؤمنون ٥١]

« كلوا من رزق ربكم واشـــكروا له بلدة طيبة ورب غفور » .
[سبأ ١٥]

ـ وذكر الله معناه الأمن من عقاب الله وغضبه مثلما حل على الأمم السابقة . واذا كان عقاب الاستئصال قد رفع ببعثة سيدنا محمد فهناك من ألوان العذاب النفسى ما هو أشد هلاكا وايلاما حيث يمنع الانسان من الاحساس بأى نعيم مهما أحاطت به ألوان المتعة المادية :

« وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون . فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا أن قالوا انا كنا ظالمين » .

[الأعراف ٤ ، ٥]

« فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون » .

[الأعراف ١٦٥]

« فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون » .

[الأنعام ٤٤]

« ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها » .

[السجدة ٢٢]

ـ وذكر الله معناه الأمن من غاشية الجهالة والضلالة وظلمات المادية العمياء :

« أن أخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله » .

[ابراهيم ٥]

« واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة » .

[البقرة ٢٣١]

« قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين » .

[يونس ٥٧]

« فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هـــداى فلا يضل ولا يشقى » .

[طه ١٢٣]

« فذكر بالقرآن من يخاف وعيد » .

[ق ٤٥]

« الذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا » .

[الفرقان ٧٣]

« قد جاءكم بصـــائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها » .

[الأنعام ١٠٤]

ـــ وذكر الله معناه الأمن من حسد الحاسدين وطمع الطامعين :

« قل أعوذ برب الفلق . من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب . ومن شر النفاثات فى العقد . ومن شر حاسد اذا حسد » .

[الفلق ١ ـــ ٥]

« ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق » .

[البقرة ١٠٩]

« أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » .

[النساء ٥٤]

« يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور » .

[يونس ٥٧]

ـــ وذكر الله معنـــاه الأمن من ارتكاب ما يغضب الله والابتعاد عن رضـــوان الله ورحمته :

« وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » .

[النحل ٩٠]

« أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى انما يتذكر أولوا الألباب » .

[الرعد ١٩]

« اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » .

[الأعراف ٢١٠]

« فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين » .

[الزمر ٢٢]

ـ وذكر الله معناه الأمن من سوء العاقبة حين لا ينفع الندم :

« والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما » .

[الاحزاب ٣٥]

« ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا » .

[الجن ١٧]

« وجىء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى » .

[الفجر ٢٣]

ـ وذكر الله معناه الأمن من التشاحن والبغضاء بين المنحرفين عن منهج الله ، ذلك التشاحن الذى يحول الحياة الدنيا الى جحيم لا يطاق :

« ص والقرآن ذى الذكر . بل الذين كفروا فى عزة وشقاق » .

[ص ١]

« انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله » .

[المائدة ٩١]

ـ وذكر الله معناه الأمن من عاديات الزمن التى يصيبنا الله بها ابتلاء وتمحيصا :

« أو لايرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون » .

[التوبة ١٢٦]

« ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون » .

[الأعراف ١٣٠]

« فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون » .

[الأنفال ٥٧]

ـ وذكر الله معناه الأمن من عدم الوفاء بالعهود مما قد يسبب معاناة لا حصر لها لمن يتضررون بعدم الوفاء هذا :

« وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون » .

[النحل ٩١]

« وأفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا » .

[الاسراء ٣٤]

« وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وايای فارهبون » .

[البقرة ٤٠]

« واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا » .

[الأنعام ١٥٢]

« فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين » .

[يوسف ٤٢]

ـ وذكر الله معناه الأمن فى ظل الرحمن :

« قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون » .

[الأنبياء ٤٢]

« أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فاذا هى تمور » .

[الملك ١٦]

« أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير » .

[الملك ١٧]

« أو لم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شىء بصير » .

[الملك ١٩]

« أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا فى غرور » .

[الملك ٢٠]

« أمن هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه بل لجوا فى عتو ونفور » .

[الملك ٢١]

وهكذا فانه لا يمكن حصر المجالات التى يحقق فيها الذكر الأمن لأنه لا يتناول النفس البشرية فقط بتركيبها الاعجازى الغريب بل انه يمتد ليشمل كل ما يؤثر فى تلك النفس فى دنياها وأخراها وانعكاس هذا التأثير على القلب بما يحقق اتصاله بمقلب القلوب الله نور السموات والأرض . وبالتالى فانه يعجز القلم عن توفية هذا المجال حقه ويكفينا أن نردد قول الحق سبحانه وتعالى :

« وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » .

[الذاريات ٥٥]

« الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله . الا بذكر الله تطمئن القلوب » .

[الرعد ٢٨]

ثالثا ــ الحرف الثالث من كلمة الأمن وهو : النون للفرح الكامل :

قد يثور الى الذهن تساؤلات عميقة نتيجة هذا العنوان مضمونها : هل هناك فرح ناقص وفرح كامل ؟ وما هو الفرق بينهما ؟ وكيف يتحقق الأمن فى الثانى ولا يتحقق فى الأول ؟ وهل كل هؤلاء الذين نجدهم فى الدنيا فرحين لا يشعرون بالأمن ؟

ونقول بصدق اليقين فى كلام الله : ان الفرح الكامل هو الفرح بالله ومن الله ولله . وهذا القول نابع من دستور الله عز وجل :

« قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » .

[يونس ٥٨]

« وانه هو اضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا » .

[النجم ٤٣ — ٤٤]

وأى فرح خلاف ذلك فهو زائف ومؤقت لأنه لا يحقق للنفس ابتهاجها الدائم وطمأنينتها المنشودة مما يجعل الانسان يلهث وراء كل ما يتصور أنه يحقق له السعادة حتى ولو أدى به الأمر الى ارتكاب المنكرات . ولكنه سرعان ما يزول تأثير تلك العوارض الزائفة وترجع النفس الى قلق أشد لأنها بعدت أكثر عن منهج الله :

« ذالكم بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون » .

[غافر ٧٥]

فالفرح الكامل هو الفرح بكل ما يرضى الله من اقامة دعائم الحق والخير والعدل فى المجتمعات البشرية لأن تلك الدعائم تحقق كل معانى الأمن والطمأنينة والسكينة فى الدنيا ثم لها الجزاء الأوفى فى الآخرة وفيما عدا ذلك فهو متاع الغرور لا يستحق أى فرح لأنه زائل هذا الزوال نفسه مدعاة للحسرة كما قال أحد الصالحين :

أشد الغم عندى فى سرور ... تيقن عنه صاحبه ارتحالا
أرى الدنيا على من كان فيها ... تدور فلا تديم عليه حالا

والأمثلة القرآنية التى ضربها لنا الحق جل وعلا تجل عن الحصر وتوضح لنا فى يقين لا يعتريه أى شك أن الفرح بمتاع الحياة الدنيا لا يحقق أى نـــوع من انـــواع الأمن بل على العكس من ذلك فهو مدعاة لانتقام الله عز وجل ، فكيف يأمن من يعرف أن فرحه هـــذا عاقبته وخيمة ؟ !

« حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين . فلما أنجاهم اذا هم يبغون فى الأرض بغير الحق، يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون » .

[يونس ٢٢ — ٢٣]

« وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا فى الآخرة الا متاع » .

[الرعد ٢٦]

« فليضحكوا قليـــلا وليبكوا كثيرا جـــزاء بمـــا كانوا يكسبون » .

[التوبة ٨٢]

« ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون »

[المطففين ٢٩]

« فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون » .

[المطففين ٣٤]

ويعرض لنا الحق — تبارك وتعالى — العبر والعظات بكل أمة تركت العمل بمـــا أمرت به فكان عاقبة أمرها أن افتتنها الله بالرخاء والسعة والصحة مكان البأساء والضراء ، ففرحت بتلك المـــاديات الحقيرة ونست خالقها المنعم . فهل يمكن أن تشعر تلك الأمم بالأمن ؟ حاشا لله أن تكون تلك سنته فى خلقه ، فلابد أن يذيقها من الوان العذاب ما لا تقـــدر على احتماله ، سواء عذاب الاستئصال فيما مضى أو الشقاء النفسى منذ بعثة سيدنا محمد صلوات ربى وسلامه عليه :

« فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابـواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ، فقطع دابر القـوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين » .
[الأنعام ٤٤]

ـ فأى أمن يشعر به الانسان اذا فرح بما يغضب الله أو فرح بما آتاه الله من نعمة وبعد عن منهج الله :

« لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعـلوا فلا تحسـبنهم بمفـازة من العـذاب ولهم عذاب أليم » .
[آل عمران ١٨٨]

ـ وأى أمن يشعر به الانسان اذا علم أن الله لا يحب الفرحين بالمتاع الدنيوى والترف الزائل والحياة الغرور وهذا ما أخبرنا به الرحمن الرحيم فى قرآنه الكريم :

« اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين » .
[القصص ٧٦]

حتى اذا ظهرت علامات الفرح على بعض الناس من كثرة الأمـوال والبنين فلا نغتر بذلك لأنه نعيم فى الظاهر شقاء فى الباطن لأنه قال وقوله الحق :

« ولا تعجبك أموالهم وأولادهم . انمـا يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون » .
[التوبة ٨٥]

ـ وأى أمن يشعر به الانسان اذا كان فرحه مبنى على التقاعد عن الجهاد فى سبيل الله ، والبخل بالمـال والنفس والخوف من خوض المشاق فى سبيل ارسـاء أسس الحق والدين :

« فرح المخلفون بمقعدهم خـلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون » .
[التوبة ٨١ ـ ٨٢]

حقا ان الأمن هو فى الفرح الحقيقى القائم على تقوى الله لأن الفرح هنا معناه اتصال القلب بالخالق وكفى بها من فرحـــة .

« ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

[الأحقاف ١٣]

أى ان الأمن من الهم والحزن هو فى تقوى الله واتباع هـــداه :

« فمن اتقى وأصلح فـــلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .
[الأعراف ٣٥]

« فمن تبع هداى فـــلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .
[البقرة ٣٨]

ولذلك فقد كان الانسان العارف بالله المتصل به يقول : (نحن فى سعادة لو علم بها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف)! وكيف لا ؟ وهو متصل بنور السموات والأرض انه السعادة كلها والفرح كله والطمأنينة بأكملها :

لولاك ياســـــر الوجـــود ما طاب عيشى ولا وجودى
ولا ترنمـــت فى صـــــلاتى ولا ركـــوعى ولا سجودى

وهكذا فان من يظن الدين قيودا تحد من حرية الانسان فقد ضل ضـــلالا كبيرا وبعد عن منهج الحق الذى أنزل علينا القرآن هدى ورحمة وشفاء لمـــا فى الصدور ، ولا أدل على ذلك من تلك الكلمات النورانية التى يواسى بها الله سبحانه وتعالى نبيه وحبيبه وقت شدته فيبدد ظـــلام حزنه ويشيع فى نفسه فرحة وبهجة :

« طه ما أنزلنا عليك القـــرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى » .

[طه ١ — ٣]

« ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم » .

[يونس ٦٥]

ومن كرم الله تعالى وتفضله علينا أن هـذه المواساة لم تقتصر على الرسول فقط بل انها امتدت لتشمل كل مؤمن دخل فى رحاب الاسـلام مسلما وجهه لله وللرسول فقال جل شأنه :

« ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون ان كنتم مؤمنين » .

[آل عمران ١٣٩]

« من آمن بالله واليـوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

[المـائدة ٦٩]

هذا هو الفرح الكامل ، وهذا هو الأمن الحقيقى ، انه الفرح النابع من اتباع منهج الله وطلب مرضاته والاستعانة به وقت الشدائد :

يا صاحب الهم ان الهم منفرج	ابشر بخير فان الفارج الله
اليأس يقطع أحيانا بصاحبه	لا تيأسن فان الـكافى اللـه
الله يحدث بعد العسر ميسرة	لا تفزعن فان الصانع الله
اذا بليت فثق بالله وأرض به	ان الذى يكشف البلوى هو الله
والله ما لك غير الله من أحد	فحسبك الله فى كل لك الله

ان هـذا الفرح تنبع أهميته العظمى فى تحقيق الأمن من عدم اقتصاره على الدنيا فقط بل انه يمتد ليشمل الدارين:

● فالفرح بالجهاد فى سبيل الله هو فرح كامل لأنه يضمن احدى الحسنيين اما النصر فى الدنيا وما يتبعه من تحقيق مغانم واما النعيم فى الآخرة :

« ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم

ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » .

[آل عمران ١٦٩ — ١٧١]

● والفرح بتقوى الله هو فرح كامل لأن فيه المعية مع الله فى الدنيا والنجاة من العذاب فى الآخرة :

« ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .

[النحل ١٢٨]

« وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون » .

[الزمر ٦١]

« ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم » .

[يونس ٦٢ — ٦٤]

● والفرح بالوفاء بعهد الله هو فرح كامل لأن عاقبته كلها خير ففيها تلقى الوعد الالهى ويا له من تلق :

« وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وايای فارهبون » .

[البقرة ٤٠]

« ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون » .

[فصلت ٣٠]

● والفرح بكتاب الله هو فرح كامل لأن فيه الخير كله والهدى والرحمة والبشرى :

« أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم » .

[العنكبوت ٥١]

« ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » .

[النحل ٨٩]

وهكذا اذا حاولنا أن نحصر سبل الفرح الكامل فلن

يسعنا الجهد لأنه هو الفرح الحقيقى النابع من الحق انه الفرح بالله ومن الله ولله ، وهو السبيل الوحيد لتحقيق الأمن للنفس المؤمنة وتجنيبهـا كل عوامل القلق والتشتت بالتعرض لافراح وهمية مؤقتة تزول بزوال تأثيرها وبزوالها تترك فى النفس ألمـا وحسرة على ما فرطت فى جنب الله بضياع فترة من العمر والمـال والمجهود فى تحصيل متاع الدنيا الزائف . وهو ما يحذرنا منه سبحانه وتعالى أشـد التحذير ويبين لنا منهجه واضحا جليا ليأخذ بيدنا من الظلمات الى النور حتى لا تذهب النفس حسرات :

« أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين » .

[الزمر ٥٦]

وبشرح الحرف الثالث من كلمة الأمن وهو النون نكون قد انتهينا من شرح المفهوم الاسلامى للأمن . وننتقل الى قمة أخرى من قمم الاسـلام وهى المنهج التطبيقى لتحقيق الأمن للانسان المسلم . فالاسـلام دين عملى واقعى لم يقتصر على وضع المفهوم بل انه وضع له الأسس والقواعد التى ترسخه وتعمقه فى المجتمع الاسـلامى ، ففرض من القوانين والتشريعات العقائدية ما يحمى المسلم من كل ما يعرضه لعوامل القلق والاضطراب سواء داخليا « فى عقيدته وروحه ونفسه » أو خارجيا « فى ممارسته الحياة اليومية مع اخوانه المسلمين » .

وسنتعرض بمشيئة الله لذلك المنهج الربانى فى تحقيق الأمن للمجتمع الاسلامى لنعرف كيف يقف الاسلام عملاقا شامخا يتحدى كل النظم والقوانين التى تتباهى بها الأمم .

المنهج الاســـلامى لتحقيق الأمن

ان الاسلام حقق الأمن للانسان فى صورة مضيئة مشرقة حيث أفاض على القلوب الطمأنينة وعلى العقول النضـــج والوعي ونقل البشرية الى تلك القمة الساحقة وفتح لها آفاقا واسعة سواء فى ذلك الآفاق المكانية أو الزمانية لتجول فيها وتعرف أن وعد الله حق وأن لا ملجأ من الله الا الله بالاعتصام به واتباع منهجه :

« أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض » .
[الاعراف ١٨٥]

« ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » .
[ق ٣٧]

« وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها » .
[يوسف ١٠٥]

وهكذا فان تلك الآفاق تحرر الانسان من وطأة بشريته التى تسجنه داخل جدران جسده وعقله وأهوائه وشهواته وتسبب له القلق والضياع .

ثم لم يقتصر الاسلام على ذلك بل انه وضـــع منهجا متكاملا لذلك الانسان يحقق له الأمان المطلق الـــذى تنشده كل نفس بشرية . يشمل هـــذا المنهج خمسة دعائم أساسية تشكل فى مجموعها دين الانسان ودنيـــاه ، واقعه وأخراه ، احتياجاته العاجلة واحتياجاته الأخروية ، تلك الدعائم هى :

١ ــ الأمن للعقيدة : حيث تشدد فى توحيد العقيدة ، وبين أن الاســـلام هو رسالة الرسل أجمعين . ووضع دعائم الايمان بالغيب كأساس لتقوية العقيدة . وصحح عقائد أهل الكتاب . وحرم الردة .

٢ ــ الأمن للنفس : حيث عالج مخاوف النفس البشرية بشتى صورها سواء الخوف من الموت أو فوات الرزق أو المصاعب والمخاطر . وحارب المذموم من الأخلاق كالغيرة والحسد والنفاق والغش والكذب والخديعة والغيبة والنميمة. وعالج اليأس أخطر أعداء النفس البشرية .

٣ ــ الأمن للعقل : حيث أعد البشرية للرشد العقلى وحمايتها من استنفاذ العقل فى تيه الفلسفات الذهنية وأهلها لاستخدام هذه الأداة العظيمة فى ادراك الحق وأسرار الخلق ولذلك كان هناك من القوانين الالهية الكثير لحماية ذلك العقل أهمها تحريم المسكرات وكل ما يضر بالعقل بزجه فى متاهات الجاهلية العمياء .

٤ ــ الأمن للعرض : حيث حدد منهجه فى الحفاظ على العرض بتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ليعين الناس على التسامى ويطهر المجتمع مما يشوبه من ادران تسبب له القلق والضياع .

٥ ــ الأمن للمال : فالمال عصب الحياة وأى اختلال فى تداوله يعرض المجتمعات الانسانية الى هزات اقتصادية عنيفة . فحرم كل طريقة لتداول الأموال بالباطل مثل السرقة أو الغش أو الرشوة أو القمار أو احتكار الضروريات لاغلائها أو جميع أنواع البيوع المحرمة .

وسنتناول بالتفصيل ان شاء الله تلك النقاط الخمس لنوضح كيف يحقق الاسلام الأمن للبشرية وكيف يعصمها من السقوط فى مهاوى القلق وكيف يأخذ بيدها الى الطمأنينة والرضا والسعادة التى هى مطمع كل انسان وغاية مسعاه . فالله يقول الحق وهو أصدق القائلين :

« وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين » .
[الاسراء ٨٢]

« وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ».
[يونس ٥٧]

« ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون » .

[الأعراف ٥٢]

ولنا أن نتخيل مجتمعا دستوره الرحمة وملجأه الرحمن الرحيم ونبيه هو نبى الرحمة : أى أمن وأى طمأنينة تشيع فيه . فلنرهف السمع ، ونوقظ الحواس ونحن ننصت الى ماجاءت به الشريعة الغراء لترسى بكل الوضوح وبكل معانى العظمة دعائم الأمن ليكون هو البشرى وهو الغاية وهو الجزاء الأوفى :

« الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » .

[الانعام ٨٢]

« فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون » .

[سبأ ٣٧]

أولا ــ تحقيق الأمن للعقيدة :

ان المنهج القرآنى فى دعم العقيدة الاسلامية غنى وزاخر ويجل عن الوصف . وكيف لا والتشريعات والتوجيهات الاسلامية كلها تنبع من أصل واحد وترتكز على ركيزة واحدة وهى عقيدة التوحيد المطلق . ومن تلك العقيدة فى الله تنبع كل التصورات الأساسية التى تقوم عليها المناهج الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية والتى تؤثر على علاقات الناس بعضهم ببعض وفى العلاقات الدولية . كما أنها تجعل العبادات قاعدة للمعاملات بما فيها من تطهير للضمير والسلوك . وبالتالى فان أى خلل فى دعم تلك العقيدة معناها اشاعة القلقلة والاضطرابات فى المجتمع الانسانى حيث يتبع كل فرد هواه مما يترتب عليه الفوضى الشاملة فى المجتمع ككل:

« ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله » .

[القصص ٥٠]

فما هى تلك الخطوات التى اتخذها المنهج الالهى لدعم العقيدة الاسلامية ؟

ان تلك الخطوات تتمثل فى نواحى شتى نوجزها فيما يلى:

١ ــ التشدد فى توحيد العقيدة :

ان الاسلام يتشدد فى توحيد العقيدة فى الله ورسله حماية للمؤمن من تشتته بين أهواء ونوازع شتى تبدد طاقاته الروحية وتضيع معالم الهدف والطريق . قال تعالى :

« ان الدين عند الله الاسلام » .

[آل عمران ١٩]

وقال جل شأنه :

« ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقا . وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا » .

[النساء ١٥٠ ــ ١٥١]

فكل الأنبياء عملوا فى معسكر واحد هو معسكر التوحيد، وتحت لواء واحد هو قول « لا اله الا الله » . أما اختلاف المناهج فى الشريعة فقد جاء حسب تطور البشرية من طفولتها المادية الى شبابها الجارف الى رجولتها الكاملة على يد خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم . وما من شك فى أن البشرية فى فجرها أيام آدم ونوح وهود وصالح وابراهيم ، غير البشرية أيام موسى وعيسى ، غير البشرية أيام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . فعقيدة الأنبياء جميعا واحدة وهى التوحيد ، أما الشرائع فانها جاءت مطابقة لمقتضى أحوال الأمم فيما يصلحهم دينا ودنيا .

قال تعالى :

« ولكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه » .

[الحج ٦٧]

وقال جل شأنه :
« لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » .
[المائدة ٤٨]

ولا شك أن هذا التوحيد هو العقيدة اللائقة بانسان يرى وحدة الناموس فى هذا الوجود اينما امتد بصره ، ولأنه هو التصور الكفيل بضم المؤمنين جميعا فى موكب واحد هو موكب النور فى مواجهة صفوف الكفر وأحزاب الشيطان . ومن ثم كان الاسلام هو الدين وكان المسلمون المعتقدون عقيدة صحيحة لم يدخلها اى نوع من أنواع الشرك هم « خير أمة أخرجت للناس » .

وقد عنى الاسلام عناية بالغة بتقدير حقيقة وحدانية الله سبحانه وحدانية لا تلتبس بشبهة شرك أو مشابهة فأية صورة من الصور وذلك لاخراج الناس من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ليعرفوا من صاحب السلطان فى هذا الكون وفى هذه الأرض فلا يخضعون الا له ولمنهجه وشريعته فى الحياة وهنا يتحقق الأمن والطمأنينة للمجتمع المسلم .

قال تعالى فى حديث قدسى جليل يعتبر دستورا تطبيقيا يؤكد على أن الايمان بوحدانية الله والتسليم له وحده كفيل بتحقيق كل دواعى الأمن للانسان المؤمن :

« يا موسى ما أحبنى من أحب المال وما أحبنى من أحب الدنيا فانه لا يسع قلب واحد حبى وحبها أبدا . يا موسى ما خافنى من خاف الخلق وما توكل على من خاف فوات الرزق . وعزتى وجلالى ما توكل على عبد الا كفيته . وبيدى مفاتح الملك والملكوت . وما اعتصم بى عبد الا أدخلته الجنة وكفيته كل مهمة . ومن اعتصم بغيرى أسخت الأرض من تحته وقطعت الأسباب من فوقه ولا أبالى كيف أهلكته . يا موسى خمس كلمات ختمت لك بهن التوراة ان عملت بهن نفعك العلم كله والا لا ينفعك شىء منه !

● الأولى : لا تخف ذا سلطان مادام سلطانى باقيا وسلطانى دائم لا يزول أبدا .

● الثانية : كن واثقـــا من رزق مضـــمون لك مادامت خزائنى مملوءة وخزائنى مملوءة لا تنفذ أبدا .

● الثالثة : لا تر عيب غيرك مادام فيك عيب والمـــرء لا يخلو من عيب أبدا .

● الرابعة : لا تدع محاربة الشيطان مادامت روحك فى بدنك فانه لا يدع محاربتك أبدا .

● الخامسة : لا تأمن مكرى حتى ترى نفسك فى الجنة وفى الجنة أصاب آدم ما أصاب فلا تأمن مكرى أبدا .

أهمية التوحيد فى المنهج الاسلامى :

قال المصطفى صلوات ربى وسلامه عليه : أيحب أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن كل ليلة ؟ فثقل ذلك على المسلمين وقالوا : أينا يســـتطيع ذلك يا رســـول الله ؟ فقال لهم : اقرءوا : « قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » .

فلماذا احتلت سورة الاخلاص هـــذه المكانة ؟

● يتضح هـــذا من اسمها فهى اخلاص الوجه لله وحده لا نشرك به سلطانا :

« فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم » .

[المؤمنون ١٦]

● انه الله الذى يجب ان يقاتل المؤمنون فى ســـبيله لاعلاء كلمة الحق ولا يخشون الا اياه سبحانه وتعالى :

« ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدأوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين » .

[التوبة ١٣]

● انه الله الواحد الـذى يهدى الى الحق من اتبع سبيله ويضل من اتبع الشهوات :

« قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق ، قل الله يهدى للحق » .

[التوبة ٣٥]

« أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم » .

[الجاثية ٢٣]

● هو الواحد الأحد له ملكوت السموات والأرض . وتلك الأحدية فى حد ذاتهـا لها عظمتها فى اشاعة الأمن فى الوجود كله لأنه كما قال جل وعلا :

« لو كان فيها آلهة الا الله لفسدتا » .

[الأنبياء ٢٢]

وتلك الوحدانية تحرر النفس من كل خوف من آلهة عاجزة تظهر فى صورة ملوك جبارين فى الأرض وهم لايملكون حولا ولا قـوة أمام قـوة الله :

« وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا . فأى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون » .

[الأنعام ٨١]

● انه الفرد الصـمد الـذى يقصده الناس فى قضاء حوائجهم ويغيث الملهوف ويفرج كرب المكروبين ويرفع راية المنصورين ويهدى الحيارى واليائسين :

« أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون . أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون . أمن يبـدؤا الخلق ثم يعيـده ومن يرزقكم من السـماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » .

[النمل ٦٢ — ٦٤]

● انه الله الذى لم يلد ولم يولد لأنه غنى عن العالمين :
« قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغنى » .
[يونس ٦٨]
« الا انهم من إفكهم ليقولون. ولد الله وانهم لكاذبون».
[الصافات ١٥١ — ١٥٢]
« لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار » .
[الزمر ٤]
● انه الله الذى ليس له كفوا أحد سبحانه وتعالى جل شأنه :
« يا صاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار » :
[يوسف ٣٩]
« الا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين » .
[الأعراف ٥٤]
« وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون » .
« وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون » .
« وهو الله لا اله الا هو له الحمد فى الأولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون » .
« قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون » .
« قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون».
[القصص ٦٨ — ٧٢]

سبحانك ربى لا اله الا أنت . يا من يقف القلم عاجزا خاشعا أمام عظمة منهجك فى توحيد عقيدتنا بما يحقق للنفس اطمئنانها وسكونها الى من بيده أمرها :

سبحانك اللهم أنت الواحد كل الوجود على وجودك شاهد
يا حى يا قيوم أنت المرتجى والى علاك عنا الجبين الساجد

٢ ــ التأكيد على أن الاسلام هو عقيدة الرسل أجمعين:

لا شك أن التأكيد على هــذا المفهوم يجعل المسلم يزداد يقينا واعتزازا بدينه ويجعل نفسه تطمئن الى أن هــذا الدين هو الحق المبين حيث دعا اليه رسل الله أجمعون من عهد آدم الى خاتم الأنبياء وسيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليــه وســلم .

« ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه » .

[آل عمران ١٩]

لمــاذا ؟ لأن الاســلام هو الرســالة التى بعث بها الأنبياء عبر تاريخ البشرية :

فها هو سيدنا نوح يخاطب قومه فيقول لهم :

« فان توليتم فما سألتكم من أجر ان أجرى الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين » .

[يونس ٧٢]

ويحدثنا الله سبحانه وتعالى عن عقيدة سيدنا ابراهيم أبو الأنبياء فيقول جل شأنه :

« ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما » .

[آل عمران ٦٧]

وغرس ســيدنا ابراهيم فى نفوس أولاده الاســلام وانشأهم عليه وأوصاهم به :

« ووصى بهــا ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون » .

[البقرة ١٣٢]

وكان أهم ما يشغل أحــد أحفاده ــ وهو نبى الله يعقوب ــ ساعة المــوت حين لقاء الواحد القهار هو الوصية بدين الحق دين التوحيد الا وهو الاسلام :

« أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب المــوت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى . قالوا : نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون » .

[البقرة ١٣٣]

وقالت الملائكة عندما كلفها الله باخراج الذين آمنوا من قوم **لوط** واهلاك الباقين الذين كذبوا به وجحدوا نعمة ربهم:

« فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين » .

[الذاريات ٣٦]

وها هو سيدنا **موسى** يبلغ المنهج الالهى فيخاطب قومه قائلا :

« يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين » .

[يونس ٨٤]

وعندما آمن السحرة برسالة موسى وهددهم فرعون بأبشع أنواع العقاب قالوا له فى يقين لا يتزعزع وقلب مطمئن بحلاوة التوحيد :

« وما تنقم منا الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا . ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين » .

[الأعراف ١٢٦]

حتى فرعون عندما أدركه الغرق وعرف أنه لا ملجأ من الله الا الله قال :

« آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل وأنا من المسلمين » .

[يونس ٩٠]

وعلى لسان **سليمان** يقول الحق جل وعلا :

« فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين » .

[النمل ٤٢]

وتقول ملكة سبأ بعد أن هداها الله على يد نبيه سليمان :

« وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين » .

[النمل ٤٤]

ويحكى لنا الله سبحانه وتعالى عن ذلك الحوار الربانى بينه وبين رسوله الكريم عيسى فيقول جل شأنه :

« واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا وأشهد بأننا مسلمون » .

[الأنبياء ١٠٨]

وقال تعالى لصفيه وحبيبه محمد خاتم الأنبياء وسيد المرسلين :

« قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين » .

[الزمر ١١ ، ١٢]

وهكذا فلا حجة للناس على الله بعد الرسل ولا عدوان الا على الظالمين ولا عذر لعقيدة متميعة تتأرجح بين الشك واليقين فالاسلام رسالة شامخة وارفة الظلال مغدقة الثمار ترفع رؤوس معتنقيه عالية وتملأ نفوسهم عزة وأمنا وتضفى على خطواتهم ثباتا وارادة وكيف لا وهو عقيدة رسل الله أجمعين صفوة البشرية وساداتها جاء بهـا خاتمهم وامامهم صلوات ربى وسلامه عليه فأغدق على النفس المؤمنة الطمأنينة والسكينة وسد عليها كل منافذ الشك والقلق .

٣ ــ الايمان بالغيب كأساس لدعم العقيدة :

ان أعظم ما يدعو لدعم العقيدة وجعلها راسخة متينة لا تتزعزع هو مدى الايمان بالغيب . فالمؤمن يتحمل ما يلاقيه من عنت ومشقة فى الحياة راضيا لأنه محتسب أجره عند الله يطلب عفوه وغفرانه ودخول جناته . كما أنه يتجاوز عن الزلات ويعفو عن المسىء ويكظم غيظه ويدفع بالتى هى أحسن ابتغاء مرضات الله ايمانا بالغيب الذى نبأنا عنه الصادق المعصوم .

ان الايمان بالغيب هو الاختبار الحقيقى للانسان لأنه يجاهد وجوده المادى فى سبيل وجوده المعنوى دون أن يرى الله صاحب الوجود الحقيقى ودون أن يرى الجنة أو النار ، فلو تكشف له كل هذا لخضع لله جبرا وقسرا

واختار الجنة وخشى النار لعظمة الأولى وجمالها وهول الثانية وجحيمها . وبالتالى لا يصبح هناك مجال لتفاوت أقدار الناس ومكانتهم ولا ينصهر الانسان وينصقل بخوض تجربة الحياة الدنيا التى أرادها الله له . ولننصت الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لنعرف فضل الله على من عبده بظهر الغيب :

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان لله ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر . فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا الى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم الى السماءالدنيا . قال فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم : ما يقول عبادى ؟ قال يقولون : يسبحونك ويكبرونك ويمجدونك قال فيقول : هل رأونى ؟ قال يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا وأكثر لك تسبيحا . قال فيقول : فما يسألونى ؟ قال يقولون : يسألونك الجنة . قال فيقول : وهل رأوها ؟ قال يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة . قال : فمم يتعوذون ؟ قال : يتعوذون من النار . قال فيقول :وهل رأوها ؟ قال يقولون : لا والله ماراوها . قال فيقول : فكيف لو رأوها ؟ قال يقولون : لو رأوها كانوا أشد منهـا فرارا وأشـد لها مخافة . قال فيقول : أشهدكم أنى قد غفرت لهم . قال يقـول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم أنما جاء لحاجة . قال : هم القوم لا يشقى بهم جليسهم — رواه البخارى .

حقا ان الايمان بالغيب هو المحك الحقيقى للايمان وهو الاختبار الشاق للانسان اختبار ما فى الصدور وتمحيص ما فى القلوب .

« وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم ».
[آل عمران ١٥٤]

وهذا الابتلاء يعرضه الله علينا فى كل شىء بعد فرض أوامره وعرض عاقبة المتقين . ومن أمثلة ذلك :

« ولنبلونكم بشيء من الخـوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصـابرين . الذين اذا أصابتهم مصـيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صـلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » .

[البقرة ١٥٥ — ١٥٧]

« يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم » .

[المـائدة ٩٤]

« لقد أرسلنا رسـلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز » .

[الحديد ٢٥]

ان الايمان بالغيب هو أمن وحماية وقـوة للعقيدة لأنه سيوقظ الضمير فيقف حارسا على الحواس لأنه يخاف الله ويخشى عاقبة أمره :

« انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم » .

[يس ١١]

« انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى الله المصير » .

[فاطر ١٨]

« وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة » .

[التوبة ٩٤]

والايمان بالغيب يحمى الانسان من عوامل القلق فى البحث عما وراء الطبيعة وعن نشأة الكون ونهايته وعما ينتظره ساعة المـوت وفيما بعد المـوت لأنه آمن بالله ثم استقام والله يقول وقوله الحق :

« وما كان الله ليطلعكم على الغيب » .
[آل عمران ١٧٩]

« قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله وما يشعرون أيان يبعثون » .
[النمل ٦٥]

« ولله غيب السموات والأرض واليه يرجع الأمر كله » .
[هود ١٢٣]

وجعله أهم صفات المؤمنين المتقين وهو أول ما يطالعنا فى كتاب الله عز وجل فى أول سورة البقرة حيث يقول سبحانه وتعالى :

« آلم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » .
[البقرة ١ — ٣]

٤ ــ تصحيح عقيدة أهل الكتاب :

ان تصحيح عقيدة أهل الكتاب من يهود ونصارى هو فى حد ذاته دعم للعقيدة الاسلامية لأنه اعتناء ببيان الحق واظهاره وبيان الباطل وكشفه حتى يكون المؤمن على هدى من ربه فيطمئن قلبه ويسير فى الحياة ثابت الخطى لأنه رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا صلى الله عليه وسلم .

فتولى القرآن تصحيح عقائد أهل الكتاب التى جاء فوجدها مليئة بالتحريفات مشحونة بالأساطير مما يبعدها عن العقيدة الصحيحة فى الله وهذا يسبب قصورا فى العقل للبشر أجمعين يؤدى الى الغلو والتفريط فى تفكير البشرية جمعاء ببعدها عن منهج الحياة وهو منهج الله . فيخاطب الله أهل الكتاب خطابا زاجرا يردهم به الى طريق الحق والجادة والصواب فيقول جل شأنه :

« يا أهل الكتاب لا تغلو فى دينكم غير الحق . ولا تتبعوا

أهواء قـــوم قد ضـــلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل » .

[المائدة ٧٧]

ان ذلك الخطاب لأهل الكتاب احتل أهمية كبرى فى القرآن الكريم نظرا لأنه خاتم الرسالات الى العالمين فكان لابد من تخليص عقيدة التوحيد من كل ما يشوبها من أساطير البشر وتخبطهم فى جاهليتهم العمياء .

فنجد الحق سبحانه وتعالى يصحح لليهود اختلالات تصور التوحيد ويزيح ما تراكم عليهم من غبار الباطل فيقول جل شأنه :

« يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم واياى فارهبون . وآمنوا بما أنزلت مصدقا لمـــا معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا واياى فاتقون . ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون . وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين » .

[البقرة ٤٠ — ٤٣]

ويتجه الله سبحانه وتعالى الى المسيحيين بتصحيح ما اعترى ديانتهم من قصور بعد بهم عن معنى الدين الحقيقى وأصاب عقيدتهم بانحـــراف بعدهم عن الحق المبين فيقول جل شأنه :

« يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رســـول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيـــلا . لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا » .

[النساء ١٧١ — ١٧٢]

ان الآيات التى يخاطب فيها الله اليهود والنصارى ليبين لهم العقيدة الصحيحة لا تعد ولا تحصى بحيث لا يسمح للمجال هنا بسردها(١) . وما يهمنا الاستدلال به هو حرص المنهج الاسلامى على دعم عقيدة المسلم لأنها هى العقيدة الحقة التى ارتضاها الله لنا وبها نحقق الأمن فى أروع معانيه لأنا التلقى فى شئون الحياة كلها من الله وحده ويا لها من نعمة عظمى :

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » .

[المائدة ٣]

٥ ــ تحريم الردة :

ان الاسلام عقيدة التسامح ولكنه ليس عقيدة التميع . انه تصور جاد ونظام جاد والجد لا ينافى التسامح ولكنه ينافى التميع . فهو يتسامح مع اصحاب العقائد المخالفة له فلا يكرههم أبدا على اعتناق عقيدته . ولهم ــ حتى وهم يعيشون فى ظل نظامه ودولته ــ أن يجهروا بمعتقداتهم المخالفة للاسلام . فى غير ما دعوة للمسلمين ولا طعن فى الدين . وهو يحافظ على حياتهم وأموالهم ودمائهم ويمتعهم بخير الوطن الاسلامى بلا تمييز بينهم وبين أهل الاسلام ، ويدعهم يتحاكمون الى شريعتهم فى غير ما يتعلق بمسائل النظام العام .

ان الاسلام يتسامح هذا التسامح مع مخالفيه فى العقيدة ، ولكنه لا يتسامح أبدا مع من يوحدون الله،ويشهدون أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ثم يرتدون بعد ذلك لأن هذا أخطر ما يمكن أن يطعن به الأعداء الاسلام وهذا

---

(١) يمكن الرجوع الى كتاب الله عز وجل وعلى سبيل المثال الآيات : (المائدة ١٧ ، ٤٧ ، ٧٢) ، (النساء١٥٧) (التوبة ٣٠ ، ٣١) ، (الاسراء ٢ : ٤) ، (المؤمنون٤٩) (القصص ٤٣) (السجدة ٢٣)

ما فعله الكفار فعلا فى أول الدعوة لمحاربة الاسلام ورسول الاسلام محمد صلوات الله وسلامه عليه حيث زين لهم الشيطان أن يعلنوا اسلامهم ثم يرتدوا بعد ذلك معلنين أن هذا الاسلام ليس أهلا لهم وفيه من المبررات ما يجعلهم يرجعون عنه وهذا ما أخبر به الله العليم رسوله الكريم حتى يحذره منهم :

« وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون » .
[آل عمران ٧٢]

ومن هنا وحماية للعقيدة الاسلامية وتدعيما لها حرمت الردة فى الاسلام تحريما قطعيا ووصلت عقوبة تلك الجريمة الى حد القتل وذلك حتى لا يستباح دين الله لضعاف النفوس أن يجعلوه مطمعا لتحقيق أغراضهم ثم ينفضوا منه بعد ذلك تاركين وراءهم البلبلة والتزعزع فى عقيدة الباقين . ولذلك قال الصادق المعصوم صلوات ربى وسلامه عليه : (من خالف دينه دين الاسلام فاضربوا عنقه) وقال أيضا صلى الله عليه وسلم : (من بدل دينه فاقتلوه) .

وهذا الحكم مستمد من القانون الأساسى وهو القرآن الكريم حيث يقول الله عز وجل :

« ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » .
[البقرة ٢١٧]

« ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه » .
[آل عمران ٨٥]

وهكذا لم يترك الاسلام ثغرة واحدة يمكن أن ينفذ منها الشك فى العقيدة الا واحكم مغاليقها لتظل عقيدة المسلم قوية البنيان عميقة الأساس لاتتزلزل ولا تهتز

لا تستطيع جيوش الباطل مهما أوتيت من قـــوة أن تغلبها أو تنتصر عليها وهكذا يعيش المؤمن فى امن عقائدى لا يشعر بعظمة هـــذا الأمن الا من أنعم الله عليه بنعمة الايمان وكفى بها من نعمة .

وننتقل الآن الى مجال آخـــر من المجالات التى اهتم الاسلام بتحقيق الأمن فيها بل انه مجال لا يقل أهمية عن مجال العقيدة لأنهما متلازمان متلاصقان لا غنى لأحدهما عن الآخر وهو مجال النفس البشرية . فان كانت العقيدة كالغيث فان النفس كالأرض وكلما كان الغيث غزيرا والأرض خصبة فانها تؤتى ثمارها كأروع ما يكون الجنى . فلنتجول فى رياض الاسلام ونـــرى كيف أســـبغ على النفس المؤمنة كل أمن وطمأنينة وأحاطها بسياج منيعة تحميها من عواصف القلق المدمرة .

ثانيا ــ تحقيق الأمن للنفس :

ما أعظم المنهج الاســـلامى فى علاج النفس البشرية من كل المخاطر والصعاب التى تعترض طريقها فى الحياة الدنيا . ذلك المنهج الـــذى تتضاءل أمامه كل علوم النفس التى تحاول دراسة وعلاج الصراعات النفسية وكيف لا ، وواضع المنهج هو الحكيم الخبير خالق النفس البشرية الذى يعلم مستقرها ومستودعها . يقول الحق جل وعلا تأكيدا عن هـــذا العلم :

« ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه » .
[ق ١٦]

« ربكم أعلم بما فى نفوسكم » .
[الاسراء ٢٥]

« واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه » .
[البقرة ٢٣٥]

وانطلاقا من هـــذا العلم فان المنهج الربانى أخذ النفس

الانسانية بطريقته الخاصة ، أخذها بسلطان الله وخشيته ومراقبته ، وبحضور الله سبحانه فيها حضورا لا تملك الغفلة عنه لحظة من زمان . أخذها جملة لا تفاريق . وعالج الفطرة بطريقة خالق الفطرة : لقد ملأ فراغها باهتمامات كبيرة لا تدع فيها فراغا . فنقل البشرية من ضيق الدنيا الى سعة الآخرة ومن جور الناس الى عدالة الاسلام . وهكذا امتلأت النفوس المؤمنة بالايمان ذلك الاحساس الندى الرضى البهيج ، فلم تعد بحاجة الى نشوة الخمر أو أرضاء الرغبات والشهوات الكاذبة لأنها ترف بالايمان المشبع الى الملأ الأعلى الوضيء وتعيش بقرب الله ونوره وجلاله ، وتذوق طعم هذا القرب فتمج كل نشوة عداها .

انه استنفذ الفطرة من ركام الجاهلية وفتحها بمفتاحها الذى لا تفتح بغيره . وتمشى فى حناياها وأوصالها وفى مسالكها ودروبها . ينشر النور والحياة والنظافة والطهر واليقظة والهمة والاندفاع للخير الكبير والعمل الكبير والخلافة فى الأرض على أصولها التى قررها العليم الخبير وعلى عهد الله وشرطه وعلى هديه ونوره .

وبالتالى فان هذا المنهج الاسلامى لم يحاول زرع اليأس فى النفس البشرية بل استجاشة تلك النفس وتشجيعها وتحذيرها وطمأنتها فى آن واحد . وشمل العلاج نواحى عدة يعجز الانسان عن حصرها ولكن يمكن تلخيصها فى عدة نقاط رئيسية تضم كل منها العديد من اتجاهات المنهج الربانى لتحقيق الأمن للنفوس :

١ ــ علاج الخوف بكل أنواعه : سواء الخوف من الموت . أو من فوات الرزق . أو أى نوع من أنواع المخاطر والصعاب .

٢ ــ علاج اليأس : هذا اليأس الذى قد يهدد حياة الانسان بالشلل التام وبالتالى يؤدى الى تدميرها .

٣ ــ علاج مساوىء الأخلاق والدعوة الى مكارمها :

وذلك لتهذيب النفوس البشرية ومحاربة كل ما يعكر صفو المجتمعات من شيوع رذائل الأخلاق التى تزلزل كيانها وتنشر الحقد والكراهية والقلق بين الناس .

١ ــ علاج الخوف بكل أنواعه :

ان المنهج الاسلامى وضع العلاج بطريقته الخاصة وهى رد تلك النفس الى خالقها فى كل ما يعتريها من خوف وارجاعها الى الواحد الحق الــذى اليه المنتهى واليه المصير :

ــ **فالنفس التى تخاف من المــوت :** اذا رجعت الى خالقها وأرهفت السمع الى آياته المحكمات عرفت أن الموت علينا حق مهما فررنا منه أو احجمنا عن ملاقاته فى أى صورة من صور الجهاد لاعلاء كلمة الحق فى مواجهة الباطل :

« كل نفس ذائقة المــوت وانما توفون أجوركم يوم القيامة » .

[آل عمران ١٨٩]

« نحن قدرنا بينكم المــوت وما نحن بمسبوقين » .

[الواقعة ٦٠]

« كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة » .

[الأنبياء ٣٥]

« لكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » .

[يونس ٤٩]

● حقا ان المــوت حتم فى موعده المقدر ولا علاقة له بالحرب والسلم ولا علاقة له بحضانة المكان الــذى يحتمى به الفرد أو قلة حصانته ولا يؤخره أن يؤخر عن الناس تكليف القتال ، ولا التكاليف الجهادية تعجله عن موعده وبالتالى فلا داعى لخوف النفس وجزعها وخشيتها من خوض المكاره والحروب :

« أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة » .

[النساء ٧٨]

« قل فادرءوا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين » .
[آل عمران ١٦٨]

« وما تدرى نفس بأى أرض تموت » .
[لقمان ٣٤]

« وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا » .
[آل عمران ١٤٥]

● ومتى أيقنت النفس ذلك اندفعت آمنة مطمئنة فى خضم الحياة ترسى دعائم الحق والعدل والخير ، غير هيابة ولا وجلة لأن كلمات الحق جل وعلا كشفت لها حقائق الوجود فى سهولة ويسر وأصبح عندها رؤية واضحة محددة للأمور فالموت معناه لقاء الله ولقاء محمد وصحبه الأخيار الأبرار ومعناه انتهاء ما فيه الانسان من مكابدة ومشاق والانتقال الى سعادة لا شقاء بعدها أبدا ونعيم لا يزول لأنه نال ذلك بحسن عمله فى الحياة الدنيا :

« الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا » .
[الملك ٢]

« ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله » .
[النساء ١٠٠]

حماية الاسلام للنفس :

رغم أن الاسلام وضع ذلك المفهوم الواضح للموت الا انه لا يأبى ان يلقى الانسان بنفسه الى التهلكة . فالنفس أمانة حرص الاسلام على حمايتها بكل القوانين التشريعية وذلك لاسباغ صفة الأمن على المجتمعات البشرية بحيث لا تذهب الأرواح سدى بل اذا كان لابد من ذلك فليكن فيما يعود بالخير العميم والنفع الأكيد على المجتمع بأسره . ولذلك حرم الاسلام القتل فى غير قصاص وفى غير دفع فساد فى الأرض تحريما قاطعا :

« من أجل ذلك كتبنـــا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا » .

[المـــائدة ٣٢]

ان قتل نفس واحدة بدون سبب شرعى يعدل قتل الناس جميعا لأن حق الحياة واحد ثابت لكل نفس وقتل واحدة من هذه النفوس هو اعتداء على هـــذا الحق الـــذى تشترك فيه كل النفوس وبالتالى فان الحفـــاظ على الأرواح يجعل الناس تستمتع بالأمن وتزاول نشاطها فى طمأنينة . وهذا يدعو الى رقى الحياة الانســـانية وزيادة الخير والفضيلة والانتاج والنمو . وبخاصة أن هـــذا المجتمع يوفر للناس جميعا ضـــمانات الحياة كلهـــا وينشر من حولهم جوا تنمو فيه بذور الخير وتذوى بذور الغدر والشر .

ـــ هذا حكم الاسلام بالنسبة لقتل أى نفس عموما فما هو حكمه بالنسبة لقتل النفس المؤمنة ؟ لا يوجد سبب فى منطق الاسلام يمكن أن يفوق ما بين المسلم والمسلم من وشيجة العقيدة ومن ثم لا يقتل المسلم مسلما أبدا وقـــد ربطت بينهما هذه الرابطة الوثيقة اللهم الا أن يكون ذلك خطأ . وللقتل الخطأ توضع التشريعات والأحكام . أما القتل العمد فلا كفارة له لأنه وراء الحسبان ، ووراء حدود الاسلام:

« وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ » .

[النساء ٩٢]

فهذا هو الاحتمال الوحيد فى الحسى الاســـلامى وهو الاحتمال الحقيقى فى الواقع . فان وجود المسلم الى جوار المسلم مسألة كبيرة جدا ونعمة عظيمة جـــدا حيث تجمع المسلمين العقيدة والقرابة فى رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم ثم ترتقى فتجمعهم فى الله سبحانه الـــذى ألف بين قلوبهم ذلك التأليف الربانى العجيب :

« ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » .
[النساء ٩٣]

انها جريمة قتل لا لنفس فحسب بغير حق ولكنها كذلك جريمة قتل للوشيجة العظيمة التى انشأها الله بين المسلم والمسلم . انها تنكر للايمان ذاته وللعقيدة نفسها وبالتالى فمن العسير أن يقدم مسلم على ذلك بسهولة وهو أكبر أمن للنفس فى المجتمع الاسلامى .

ولم يقتصر الأمن فى الاسلام على النفوس البشرية ، انما تجاوزه الى مخلوقات الله المتنوعة . فقد حدث أن صحابيا أخذ بعض أفراخ طير من تحت أمه ، فغضب الرسول صلى الله عليه وسلم لذلك وأمره أن يرد الافراخ الى أمها وذلك حتى لا يفزع تلك الأم .

ولقد أعلنها عمر رضى الله عنه صريحة مدوية عبر التاريخ : لو عثرت بغلة فى العراق لسألنى الله عنها لم . لم تصلح لها الطريق يا عمر ؟ !.

وقال صلى الله عليه وسلم : (ان الفاجر اذا مات استراح منه البلاد والعباد والشجر والدواب) وهل يستريح العباد والشجر والدواب الا من اعتداء الفاجر عليه بالقتل أو الهدم أو التعذيب ؟ .

ويردد لنا التاريخ حرص الاسلام على النفس بصفة عامة فى تلك الوصية التى كان يوصى بها الخليفة الأول — سيدنا أبو بكر الصديق — الجيوش الاسلامية وهى ذاهبة لقتال العدو فى الميدان فيقول لهم : لا تقتلوا شيخا ولا امرأة ولا صبيا ، ولا تقطعوا شجراولا تذبحوا من الأنعام الا للطعام وستجدون قوما فى الصوامع فدعوهم وما يدينون .

فأى خوف من الموت اذن يمكن أن ينتاب الانسان فى مجتمع مسلم وأى أمان تشعر به النفوس فى ذلك المجتمع .

فالموت على كل الوجوه هو لقاء الله عز وجل فما أعظمه من لقاء وخاصة اذا كان هـذا المـوت فى سبيل الله وعلى سنة رسوله الكريم .

ـ الخوف من فوات الرزق لا معنى له فى الاسلام :

لأنه من بديهات العقيدة الاسلامية أن الرزق بيد الله يوزعه بحكمة وعدل على عباده : قال تعالى فى كتابه الكريم :

« له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر » .

[الشورى ١٢]

« وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقـدر معلوم » .

[الحجر ٢١]

« وفى السماء رزقكم وما توعدون » .

[الذاريات ٢٢]

وهكذا يحدد المنهج الربانى بوضوح ويقين مصدر الرزق وتوزع الأرزاق حتى يكد المسلم ويجتهد فى الحياة بدون قلق او خوف لأنه على يقين أن رزقه سيأتيه من خالق السموات والأرض ، فدستور المسلم وهو القرآن العظيم حافل بما يؤكد هذا اليقين :

« قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار » .

[يونس ٣١]

« أمن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السـماء والأرض » .

[النمل ٦٤]

« قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله » .

[سبأ ٢٤]

« هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض » .

[فاطر ٣]

« أمن هـذا الـذى يرزقكم ان أمسك رزقه بل لجوا فى عتو ونفور » .

[الملك ٢١]

والمؤمن على يقين أن هـذا الرزق يتفاوت فيه الخلق لحكم كثيرة أرادها الحق سبحانه وتعالى تختص بعلمه وحده :

« والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق » .

[النحل ٧١]

« الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز » .

[الشورى ١٩]

« وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم » .

[الانعام ١٦٥]

« ورفعنا بعضهم فـوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا » .

[الزخرف ٣٢]

وهكذا يعالج الاسـلام ضعف النفس وحرصها وشحها وتصورها الكاذب لحقيقة أسباب الرزق وأسباب الحياة . فيقرر الله تلك الحقيقة الأزلية وهى أن الرزق بيد الله لبث عوامل الطمأنينة فى نفس المؤمن فيسعى لطلب الرزق دون أن يشغله ذلك عن اقامة دعائم الحق :

« ومن يتق اللـه يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » .

[الطلاق ٣]

« ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم » .

[الانعام ١٥١]

« ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم » .

[الاسراء ٣١]

« فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » .

[الملك ١٥]

اذن فليس هناك أدنى شك عند المؤمن الواثق بربه أن الرزق بيد الله ، فلا داعى للخوف ولا داعى للانقياد لتلك النفس الأمارة بالسوء بل عليه السعى لذكر الله والمشى فى مناكب الأرض والتوكل على الله . قال الصادق المعصوم :

« لو توكلتم على الله حق تكاله لرزقكم كالطير تغدو خماصا وتعود بطانا » .

فليطمئن المؤمن نفسه وليقل لها دائما :

لا تعجلن فليس الرزق بالعجل
الرزق فى اللوح مكتوب مع الأجل
فلو صبرنا لكان الرزق يطلبنا
لكنه خلق الانسان من عجل

وها هو الحى القيوم يزيل مابقى عالقا بالنفوس من مخاوف بصدد الرزق فيقول جل شأنه فى حديث قدسى قريب من نفس المؤمن :

« ابن آدم خلقت السموات والأرض ولم أعيى بخلقهن . أفيعيينى رغيف أسوقه اليك كل حين . ابن آدم لى عليك فريضة ولك على رزق فان خالفتنى فى فريضتى لم أخالفك فى رزقى . وعزتى وجلالى ان لم ترض بما قسمت لك فلأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش فى البرية لا ينالك منها الا ما قسمت لك ولا أبالى » .

اذن على المؤمن اقامة دعائم الحق وعلى الله الرزق . فاذا تعرض للفتنة فى الدين فأمامه الهجرة فى سبيل الله حيث يجد فى الأرض متسعا للرزق ومنطلقا للنجاة والحياة :

« ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة » .

[النساء ١٠٠]

فالهجرة فى سبيل الله هى الشرط والأساس لوجود الخير والأمن فى الأرض . أما الهجرة للثراء أو الفرار من الحق أو لأجل الحصول على الملذات والشهوات فلا تدخل ضمن الوعد الالهى .

ـ أما الخوف من أنواع المخاطر والصعاب : قلة العلاج فى الصيدلية الاسلامية :

لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يعلم حقيقة النفس البشرية وأنها قد تحجم أمام الصعاب والمخاطر وقد تيأس فيعالجها الله باستجاشتها وطمأنتها فى آن واحد ويأخذ بيدها فى كل موقف من مواقف الحياة لتجتازه بعقيدة ايمانية ثابتة ويقين لا يتزعزع بنصرة الحق سبحانه وتعالى :

● فعند لقاء العدو عندما تأتى تلك اللحظات التى تعلو فيها المشقة على الطاقة ويربو الألم على الاحتمال ، يحتاج القلب البشرى الى مدد يعلو على كل مدد بشرى والى زاد سماوى علوى . هنالك يأتى المدد من هذا المعين ويأتى الزاد من رب العالمين الرحمن الرحيم فيقول جل شأنه :

« ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما » .

[النساء ١٠٤]

هكذا يطمئنهم الحق جل وعلا : انهم ان كانوا يحتملون آلام المعركة بجميع انواعها فليسوا وحدهم الذين يتحملونها . بل ان أعداءهم كذلك يتألمون وينالهم القرح والألم ، ولكن شتان بين الفريقين فالمؤمنون يتوجهون الى الله بجهادهم ويرتقبون عنده جزاءهم وهذا يسبغ عليهم الأمن والطمأنينة فى المعركة لأن عاقبتهم كلها خير فاما النصر واما الشهادة . أما الكفار فهم ضائعون مضيعون لا يتجهون لله ولا يرتقبون عنده شيئا فى الحياة ولا بعد الحياة :

« مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا » .

[هود ٢٤]

« قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث » .

[المائدة ١٠٠]

« فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما » .

[النساء ٧٤]

ولربما أتت على العصبة المؤمنة فترة تكون فيها فى معركة مكشوفة غير متكافئة . ولكن القاعدة لا تتغير . فالمؤمن دائما بخير لأنه يتلقى مددا ايمانيا يختلف فى طبيعته وقوته عن مدد الأعداء . ذلك المدد يصل اليه فى اشعاعات نورانية تلقى فى صدره الأمن والجرأة لأن الحق يخاطبه بها فيقول عز من قائل :

« كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » .

[البقرة ٢٤٩]

« ياأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » .

[محمد ٧]

« انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا » .

[غافر ٥١]

« ان ينصركم الله فلا غالب لكم » .

[آل عمران ١٦٠]

« ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » .

[الحج ٤٠]

ولما كانت المخاطر والصعاب التى يواجهها المؤمن لا تتعلق بالحرب فقط بل هناك الكثير من الاختبارات الايمانية التى يتعرض لها المؤمن بالابتلاءات الالهية . فمازال هناك الكثير فى منهج العلاج من الصيدلية الاسلامية. يقول الصادق المعصوم فى حديث جامع شامل لمواجهة تلك المخاطر والصعاب:

« حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة واستقبلوا أمواج البلاء بالتضرع والدعاء » .

ويقول أيضا صلوات ربى وسلامه عليه :

« صنائع المعروف تقى مصارع السوء وصدقة السر تطفىء غضب الرب » .

وهكذا فلا خـــوف من البلاء بل صبر وطمأنينة وسكينة من عند الله :

« وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون » .

[البقرة ١٥٦]

وننتقل الآن الى الفرع الثانى من المنهج الاسلامى لتحقيق الأمن للنفس وهو علاج اليأس :

٢ ــ علاج اليأس :

ان اليأس لا مكان له اطـــلاقا فى أساسيات العقيدة للمسلم لأن المنهج الاسلامى اهتم بمجاهدة النفس حتى تكون ترجمة حية له فى شعورها وسلوكها فيرى النـــاس صورة الايمان فى هـــذه النفس فتكون شهادة لهذا الدين بدعوة الناس اليه وبيان فضله ومزيته حيث صاغ نفوس أصحابه على هـــذا المثال من الخلق والكمال .

فاليأس يشتت قـــوى الانسان ويذهب نفسه حسرات ويجعله عضوا غير نافع فى المجتمع الانسانى بل انه عضو ضار ينقل عدوى اليأس والاحباط الى غيره وينشر القلق والفشل بين الناس . وهو أخطر ما يهدد المجتمعات بصفة عامة .ولذلك فهناك قاعدة أساسية فى بناء المجتمع الاسلامى مكتوب على بابها :

« ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون » .

[يوسف ٨٧]

فاليأس معناه الشك فى قدرة الله ولذلك فهو يعادل الكفر . أما المؤمن فهو يعلم علم اليقين ان بيده مقاليد الأمور :

« وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير » .

[الأنعام ١٧]

« قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

[التوبة ٥١]

وبالتالى فعليه أن يسعى لتذليل كل ما يقابله من صعوبات فى الحياة : « لأن الله لم يخلق داء الا وجعل له دواء » كما قال لناالصادق المعصوم فيجب أن يعمل ذهنه فى البحث عن هذا الدواء مهما عز أو ندر . فما خلقنا فى هذه الدنيا الا لنكد ونتعب فيها وننتصر على كل ما يواجهنا من متاعب الحياة . وهذا الانتصار فى حد ذاته هو ما يؤهل المؤمن لدخول الجنة حيث لا يشقى بعدها أبدا :

« أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » .

[آل عمران ١٤٢]

« أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون » .

[التوبة ١٦]

ان الخالق العليم بخبايا النفس البشرية يعلم أن الانسان يميل الى التراخى وحب النعيم الدائم أما الابتلاءات الالهية التى تضطره الى الكفاح والمجاهدة فانها قد تدفع به الى اليأس ، فيحدثنا عن ذلك فى قرآنه الحكيم فيقول عز من قائل :

« ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليئوس كفور » .

[هود ٩]

« لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيئوس قنوط » .

[فصلت ٤٩]

« واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونئا بجانبه واذا مسه الشر كان يئوسا » .

[الاسراء ٨٣]

ولكن هذا يتعارض مع البناء الأساسى للعقيدة الاسلامية التى ترتكز على التوحيد المطلق سمة هذه العقيدة والتى ترد الأمر كله لله . فليعلم المسلم انه مهما أحاطت به المحن فانه بايمانه بالله والالتجاء اليه والتوكل عليه والاستمساك بمنهجه سيجتاز تلك المحن بمشيئة الله تعالى ويشعر بعدها بقرب أكثر من الله وبسعة رحمته :

« حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا ، ان الله هو التواب الرحيم » .

[التوبة ١١٨]

فالاسلام دين العمل والجهاد والصبر والثبات والبذل والتضحية . أما اليأس فمعناه انحراف عن ذلك الدين القيم واتجاه فى طريق الضلال والعياذ بالله :

« فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون » .

[الانعام ١٢٥]

فليتمسك المؤمن بدينه الذى ارتضاه وينفذ كلام ربه العظيم وسنة رسوله الذى أرسله الله رحمة للعالمين . وحينذاك سيكون بينه وبين اليأس بعد المشرقين :

« قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون » .

[الحجر ٥٦]

وهكذا فلا يأس مع الايمان ولا ايمان مع اليأس بل رجاء فى رحمة الله وعفوه ورضاه وامتثال لأوامره واجتناب نواهيه. فالبشرى تتردد مع آيات الله البينات :

« لا تقنطوا من رحمـــة الله ان الله يغفـــر الذنوب جميعا » .

[الزمر ٥٣]

« ان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا » .

[آل عمران ١٢٠]

« ان رحمة الله قريب من المحسنين » .

[الاعراف ٥٦]

تلك الرحمة هى التى تشفى صـــدور قـــوم مؤمنين وتخرجهم من الظلمات الى النور وتبعدهم عن مهاوى اليأس والهلاك وتنجى كل من دعا ربه فى أحلك لحظات حياته . يحدثنا المولى سبحانه وتعالى عن آثار رحمته التى تنجى عباده المؤمنين من كل كرب فيقول عز من قائل :

« فأنجيناه والذين معه برحمة منا » .

[الاعراف ٧٢]

« ولمـــا جاء أمرنا نجينا هـــودا والذين آمنوا معه **برحمة** منا » .

[يونس ٥٨]

« فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه **برحمة** منا » .

[هود ٦٦]

« ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه **برحمة** منا » .

[هود ٩٤]

« فأراد ربك أن يبلغا أشـــدهما ويستخرجا كنزهما **رحمة** من ربك » .

[الكهف ٨٢]

« ذكر **رحمة** ربك عبده زكريا » .

[مريم ٢]

« وآتيناه أهله ومثلهم معهم **رحمة** من عندنا وذكرى للعابدين » .

[الانبياء ٨٤]

« فانظر الى آثار **رحمة** الله كيف يحيى الأرض بعد موتها » .

[الروم ٥٠]

« قل من ذا الـــذى يعصمكم من الله ان أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة » .

[الاحزاب ١٧]

« ما يفتح الله للناس من **رحمة** فلا ممسك لها » .

[فاطر ٢]

فكيف يكون هناك يأس مع دين ربه هو الرحمن الرحيم ورسوله هو نبى الرحمة ومن مواد دستوره .

« قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله » .

[الزمر ٥٣]

فاذا عرفنا أيضا عـــدد الآيات التى ذكرت فيها كلمة الرحمة تبلغ ٣٣٩* آية لأيقنا عظمة هـــذا الدين فى علاج النفس البشرية من اكبر آفاتها التى تحرمها من أعظم نعمة فى الوجود ألا وهى الأمن . فكيف اذن يشعر انسان مؤمن باليأس وهو يعلم علـــم اليقين أنه يعيش فى كنف الرحمن الرحيم ؟ ! .

٣ ــ علاج مساوىء الأخلاق والدعوة الى مكارمها :

لا يدرك حقيقة نعمة الأمن فى هذا الدين ولا يقدرها قدرها من لم يعرف حقيقة الجاهلية ومن لم يذق ويلاتها . والجاهلية فى كل زمان ومكان هى تلك النفوس التى لم تتأدب بأدب الله ولم ترتو من معين العلم الالهى . ولذلك فقد اهتم الاسلام اهتماما كبيرا بالجانب الأخلاقى لأن تلك الأخـــلاق هى المرآة الحقيقية لقياس حضارة الشعوب وتقدمها الروحى ، فحين تتشرب النفوس حـــلاوة الايمان فانها تشيع بهجة وصفاء وتنشر الأمن والطمأنينة على كل من حولها .

(*) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . محمد فؤاد عبد الباقى. ص ٣٠٤ : ٣٠٩

وها هو المصطفى صلوات ربى وسلامه عليه يحدد بوضوح لا ريب فيه اهتمام المنهج الاسلامى بالأخلاق لأنها المعول فى بناء المجتمعات الآمنة الراقية الى السموات العلى فيقول :

« انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

بل انه لا يكتفى بذلك بل يحدد بوضوح أكثر أن التعامل بين الناس هو المقياس الحقيقى لدرجة الايمان لأنه انعكاس لنفوس تأدبت بأدب الاسلام فيقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم : « الدين المعاملة » .

ويقول أيضا معلم البشرية وهاديها الى الرشد والخير :

« الايمان هو ما وقر فى القلب وصدقه العمل » .

والمنهج الاسلامى لتهذيب النفوس وازالة كل ما يكدر صفوها ويحرمها من متعة الأمن — الذى يمكن أن تتمتع به النفس المؤمنة — غنى وزاخر ويجل عن الوصف فضلا عن الحصر . ولذلك سنجتهد — بعون الله — فى اقتطاف بعض رياحين ذلك المنهج كنماذج للاستشهاد على كلامنا . أما المنهج ككل فلا يدرك خباياه الا من صدق الله ورسوله فى السر والعلن وتذوق حلاوة الايمان وبهجتها لأن الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم قال : « من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم » .

من معالم ذلك المنهج الربانى لتهذيب النفوس :

١ — الوفاء بالعهود :

قال تعالى فى التأكيد على الوفاء بالعهود فى كل صورها طالما أنها فى حدود ما أمر به الله ورسوله :

« وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم » .

[النحل ٩١]

« ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما » .

[الفتح ١٠]

« ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة » .

[آل عمران ٧٧]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا دين لمن لا عهد له ولا ايمان لمن لاأمانة له » .

وهكذا فلا يحل لمسلم أن يخون الله ورسوله وبالتالى لا يخون أخاه المسلم الـذى ارتبط معه بوشيجة القرابة فى الله ورسوله . انه مجتمع يسوده الأمن على الوفاء بالعهد لأن نفوس أفراده انتهلت من معين سماوى علوى فاطمأنت بنور الله .

٢ ــ رعاية الحقوق :

حرص الاسلام حرصا شديدا على تربية النفوس على رعاية حقوق الغير وهـذا فى حد ذاته حفظا لحقوق المسلم نفسه . لأن القوانين الالهية شملت تحديد حقوق المجتمع بأسره سواء كانت حقوق الأبوين أو الزوجين أو الأبناء أو الأهل والجيران والأحباب . حتى أهل الديانات الأخرى لهم أيضا حقوق . وبالتالى فان مراعاة تلك الحقوق جميعها تنشر الأمن بين أفراد المجتمع المسلم فيسعى كل فرد لبناء المجتمع وهو قرير العين مطمئنا على نفسه وماله وعرضه لأنه يعيش فى ظل دستور الحكيم الخبير . ويسير على سنة رسوله الكريم الـذى قال فى حديث جامع شامل :

« كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » .

بل وصل التشدد الاسلامى فى رعاية حقوق الغير الى أقصى مداه فحرم الاعتداء على تلك الحقوق التى تؤدى الى فزع أصحابها حتى ولو كان ذلك على سبيل المزاح ، فقد حدث أن صحابيا أراد أن يمزح فأخفى نعل أخيه . فلما بلغ ذلك رسول الله صـلى الله عليه وسـلم غضب وقال : « من فزع مؤمنا فليس منا » .

٣ ــ محاربة النفاق :

ان النفاق فى حقيقته هو الضعف عن الاصرار على الحق فى مواجهة الباطل ، وهذا الضغط هو ثمرة الخوف والطمع وتعليقها بغير الله . ولا يخفى على أى عاقل ما للنفاق من آثار هدامة على المجتمعات البشرية لأنها تنشر القلق بين الناس على حقوقهم التى تضيع بسبب تمسكهم بالحق ، فى نفس الوقت الذى يرون فيه فئات تنمو وتحقق السيادة لأنها تتملق الباطل ، وهذا بدوره يؤدى الى الاحباط لدى النفوس التى تكد وتشقى ولا تجد ثمار عملها ، علاوة على انتشار جميع الأمراض الأخلاقية التى تفتك بالمجتمع نتيجة انتشار النفاق مثل الغش والمحسوبية والرشوة والتهاون فى الانتاج وتدهوره ، وظهور قوى الشر على قوى الخير لأنها تجد من يدعم سلطتها بالنفاق .

ولذلك وضع الحق ــ سبحانه وتعالى ــ أبشع أنواع الجزاء للمنافقين حتى يكون العقاب رادعا عن التمسك بهذه الخصلة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر فقال تعالى :

« بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما » .

[النساء ١٣٨]

« ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار » .

[النساء ١٤٥]

« نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون » .

[التوبة ٦٧]

« وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم » .

[التوبة ٦٨]

٤ ــ تطهير ضمائر المجتمع المسلم :

ركز المنهج الاسلامى على رفع المستوى الخلقى والنفسى للمجتمع المسلم حتى تشيع الثقة المتبادلة بين المؤمنين ويعيش الجميع فى أمن من انقطاع روابط المودة والألفة بينهم

الناتجة عن : سخرية الناس بعضهم من بعض ، أو الجهر بالسوء ، أو التنابز بالألقاب ، أو سوء الظن الذى يحبط كثيرا من أعمال الخير ويؤدى الى الصاق التهم بالأبرياء ، أو التجسس الذى يحرم الناس من حق الأمن على أسرارهم ، أو الغيبة والنميمة التى تجعل الانسان غير آمن على ما يقال فى غيابه من كشف عوراته أو الحاق الضرر والأذى به .

وكل هذه مساوىء أخلاقية اذا انتشرت فى أى مجتمع ، انتشر معها كل عوامل القلق النفسى ، وهضم الحقوق ، وتدمير كيان الانسان ببعثرة ما تحتويه سريرته على السنة الخلق .

والويل كل الويل لمجتمع يعانى من تلك الأمراض ، انه يحرم من كل أمن ومن كل سعادة ومن كل طمأنينة . ولذلك فقد كان التركيز الاسلامى على تلك الناحية عميقا كل العمق ، حازما كل الحزم . نكتفى هنا بالاشارة الى بعض الآيات القرآنية التى تنهى عن ذلك ويكفى أن النهى من رب العالمين ، ملك الملوك الأعظم .

قال رب العزة جل شأنه فى ارساء المنهج الربانى لتطهير ضمائر عباده المؤمنين :

« يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن . ولا تلمزوا أنفسكم . ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون » .
[الحجرات ١١]

« يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه . واتقوا الله ان الله تواب رحيم » .
[الحجرات ١٢]

« لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من

ظلم وكان الله سميعا عليما . ان تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا » .

[النساء ١٤٨]

وهكذا فان الحكيم الخبير يعلم شدة حساسية المجتمعات وانها فى حاجة الى آداب اجتماعية تتفق مع هذه الحساسية ، ورب كلمة عابرة لا يحسب قائلها حسابا لما وراءها ، ورب شائعة عابرة لم يرد قائلها بها الا فردا من الناس ، ولكن هذه وتلك تترك فى نفسية المجتمع وفى أخلاقه وفى تقاليده وفى جوه آثارا مدمرة تشيع القلق والفساد وتتجاوز الفرد المقصود الى الجماعة الكبيرة . ومن هنا كانت الدعوة الى مكارم الأخلاق والنهى عن مذمومها من أعظم نعم الله لتحقيق الأمن للنفس المؤمنة .

٥ ــ ضبط النفس وسماحة القلب :

ان هذا الخلق هو من أهم العوامل التى تحقق الأمن فى المجتمعات الاسلامية لأنه ليس من حق المسلم فى فورة الغضب التى ودفعة الشنآن أن يعتدى على الغير ، بل انه بالاستعانة بالله يمكنه كبت مشاعر الغضب التى قد تمتد الى مدى لا يحمد عقباه ، بل انه يمكنه التسامى والتسامح بتقوى الله وطلب مرضاته :

« ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا » .

[المائدة ٢]

« والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » .

[آل عمران ١٣٤]

ويقول الله فى حديثه القدسى : « عبدى اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب ولا أمحقك فيمن أمحق » .

انها القمة فى ضبط النفس وسماحة القلب تليق مع أمة مكلفة من ربها جاءت لتكون خير أمة أخرجت للناس ، تنشر

الأمن والعدل حتى مع الغضب والكره . فأى أمن أعظم من أن يأمن الانسان شر من يكرهه ؟ ! .

٦ ــ تجنيد النفس فى وجه ذاتها وفى وجه عواطفها :

لما كانت النفس أمارة بالسوء ــ الا من رحم ربى ــ لذا كان هناك الكثير من التوجيهات الالهية لحماية تلك النفس من الذهاب حسرات فى الدنيا والآخرة . من تلك التوجيهات :

« لا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض » .
[النساء ٣٢]

انه نهى عام عن تمنى ما فضل الله به بعض الناس على بعض سواء أى نوع من أنواع التفضيل . فى الوظيفة والمكانة وفى الاستعدادات والمواهب وفى المال والمتاع . لأن هذا فيه اضاعة النفس فى التطلع والحسد وما يصاحبه من حقد وحنق وشعور بالضياع والحرمان والتهاوى والتهافت أمام هذا الشعور ، مما يذهب بطمأنينة النفس ، ويورث القلق والنكد . ولذلك كان النهى فى صالح المؤمن لتحقيق الأمن له . فعليه أن يتوجه الى مصدر الانعام والعطاء ، موئل الطمأنينة والرجاء ، ومبعث الايجابية فى تلمس الأسباب الى الله الخالق الرازق .

« ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بها . فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا . وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا » .
[النساء ١٣٥]

انه تجنيد للنفس المؤمنة فى مواجهة عواطفها لاقامه العدل حتى ولو كان هذا ضد أقرب الناس الى تلك النفس ، ولكنه المنهج الاسلامى لارساء دعائم العدل والحق لأنها الأساس فى اشاعة الأمن والطمأنينة فى المجتمعات بأسرها .

٧ ــ المحاولة الدائمة لتوثيق علاقات المودة والقربى :

ان توثيق تلك العــلاقات بين الناس نابع من أهمية ترابط أفراد المجتمع بحيث يصبحون جميعا كجسد واحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى كما قال الصادق المعصوم وقد ســئل الرسول صلوات ربى وسلامه عليه أى العمل خير ؟ قال : « تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » .

هذا فى افشاء السلام ابتداء وهو سنة ، أما الرد عليه فهو فريضة بقول الحق سبحانه وتعالى :

« واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ان الله كان على كل شىء حسيبا » .

[النساء ٨٦]

● ان المجتمع الاسلامى بنى على السلام والأمْن والحب وصــلة الرحم :

قال صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويعطف على صغيرنا » .

وقال : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ».

وقال أيضا : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفســه » .

● انه مجتمع قام منهجه على الاحسان للوالدين ولذى القــربى :

« وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ».

[الاسراء ٢٣]

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى ».

[النحل ٩٠]

● وبنى منهجه على الاحسان للجار : قال صلى الله عليه وســلم :

« ظل جبــريل يوصــينى بالجــار حتى ظننت انه ســيورثنى » .

● والاحسان الى اليتيم ورعايته :

« ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده » .

[الاسراء ٣٤]

● والاحسان فى الميزان :

« وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا » .

[الاسراء ٣٥]

● والاحسان فى القول :

« وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن » .

[الاسراء ٥٣]

● والاحسان فى الرد على الاساءة :

« ادفع بالتى هى أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون » .

[المؤمنون ٩٦]

● والاحسان فى أداء الحقوق لأصحابها :

« فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بمعروف وأداء اليه باحسان » .

[البقرة ١٧٨]

فأى أمن بعد ذلك لنفوس تهذبت بتلك التعاليم الربانية ؟ وأى أمن لمجتمع تشربت نفوس أفراده تلك النفحات الالهية ؟ وأى منفذ تركه الخبير الحكيم لأطباء علم النفس كى يلجوا منه لمعالجة مالم يعالجه الرحمن الرحيم ؟

انها تلك النفوس المطمئنة التى استجابت لله والرسول فكان عاقبة أمرها رشدا ورجعت الى ربها راضية مرضية :

« يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » .

[الفجر ٢٧ : ٣٠]

ثالثا ــ تحقيق الأمن للعقل :

جاء الاسلام فى ختام الرسالات السماوية ليعد البشرية للرشد العقلى ويؤهلها لاستخدام أعظم نعمة وهبها الله للانسان ــ وهى العقل ــ استخداما كاملا فى ادراك الحق الذى تنبث آياته فى صفحات الوجود وفى أسرار الكون الذى جاء القرآن لكشفه وتجليته .. ولذلك فقد أهتم المنهج الربانى بتكريم العقل الانسانى لأنه أداة الادراك البشرى ووسيلته فى تلقى الوحى الالهى وادراك مدلولاته وكان أعظم تكريم لذلك العقل هو تحقيق الأمن له حتى لا يتخبط تحت ضغط النزعات والشهوات والأهواء ويتيه فى خضم الحياة ، وحتى لا يكون لله على الناس حجّة بعد ذلك كما أنبأنا بذلك فى دستوره الحكيم .

« لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما » .

[النساء ١٦٥]

وقد شمل هذا المنهج الربانى لتحقيق الأمن للعقل عدة نقاط نعرضها فيما يلى :

١ ــ حماية العقل بالوحى الالهى :

ان الله العظيم الرحيم الحكيم لا يدع هذا الكائن الانسانى وحده(*) . فهو الذى خلقه وهو يعلم سره وجهره وطاقاته وقواه ونقصه وضعفه ، وحاجته الى الموازين القسط التى يرجع اليها بتصوراته وأفكاره وأقواله وأعماله وأوضاعه ونظامه ليرى ان كانت صوابا وصلاحا أو كانت خطأ وفسادا .

ويعلم سبحانه وتعالى أن العقل الذى أعطاه له يتعرض لضغوط كثيرة من شهواته ونزواته ومطامعه ورغباته ، فضلا على أنه موكل بطاقات الأرض التى له عليها سلطان بسبب تسخيرها له من الله ، وليس موكلا بتصور

(*) سيد قطب « فى ظلال القرآن » .

الوجود تصورا مطلقا ، ولا بصياغة الأسس الثابتة للحياة . فهذا مجال العقيدة التى تأتى له من الله فتنشىء له تصورا سليما للوجود والحياة . ومن ثم وحماية لهذا العقل ورده الى صحته وسلامته فان الله يكل الناس الى وحيه ورسله وهداه وكتبه . وهذا هو الذى يليق بكرم الله وفضله ورحمته وعدله . فما كان ليخلق البشر ثم يتركهم سدى . ثم يحاسبهم يوم القيامة ولم يبعث فيهم رسولا :

« وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » .

[الاسراء ١٥]

فتقدير الله حق قدره يقتضى الاعتقاد بأنه أرسل الى عباده رسلا يستنقذون فطرتهم من الركام ويساعدون عقولهم على الخلاص من الضغوط والانطلاق للنظر الخالص والتدبر العميق . وانه أوحى الى هؤلاء الرسل منهج الدعوة الى الله وانزل على بعضهم كتبا تبقى بعدهم فى قومهم الى حين — ككتب موسى وداود وعيسى — أو تبقى الى آخر الزمان كالقرآن العظيم الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين . .

وهكذا فان الله قد جعل حجته على الناس هى الوحى والرسالة ، ولم يجعل هذه الحجة هى عقلهم البشرى ، ولا حتى فطرتهم التى فطرهم الله عليها من معرفة ربها الواحد والايمان به ، لأن الله سبحانه يعلم أن العقل وحده يضل ، وأن الفطرة وحدها تنحرف ، وأن لا عاصم لعقل ولا لفطرة الا أن يكون الوحى هو الرائد الهادي وهو النور والبصيرة ، والواقع يشهد أن الحياة الانسانية التى قامت أنظمتها على المذاهب الفلسفية أو العلم هى أبأس حياة يشقى فيها الانسان مهما فتحت عليه أبواب كل شىء ، ومهما تضاعف الانتاج والايراد ومهما تيسرت أسباب الحياة ووسائل الراحة فيها على أوسع نطاق ، ومن هنا كان الوحى حماية للعقل وأمنا له بدل التيه فى الفلسفات المادية .

« يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم . الذى خلقك فسواك فعدلك » .

[الانفطار ٧]

« أفمن اتبع رضـــوان الله كمن باء بســـخط من الله ومأواه جهنم . وتلك الأمثال نضربها للنـــاس وما يعقلها الا العالمون » .

[العنكبوت ٤٣]

٢ ــ تحريم المسكرات التى تذهب بالعقل :

حرص الاسلام حرصا بالغا على الحفاظ على العقل ، لأن الانسان عليه تكاليف وأعباء جســـام يحتاج فيها الى طاقاته العقلية فى كل لحظة من الحياة . وانه لمن الخسارة بمكان أن تذهب هذه الطاقات العقلية فى غير صالح الانسان وفى غير صالح المجتمع المسلم . ومن هنا كان تحريم الاسلام للمسكرات بجميع أنواعها سواء كانت الخمر أو المخدرات أو أى نوع من أنواع العقاقير التى تؤثر على خلايا المخ وتؤدى الى الهلوسة . فمن العبث أن يبدد الانسان أغلى ما يملكه فى سبيل ارضاء شهوات ونوازع مؤقتة تعرضـــه للضلال والانحراف وسوء الرؤية وسوء التقدير مما قد يزلزل حياته وحياة أسرته ثم حياة المجتمع بأسره . فضياع العقل ــ بدون شك ــ يســـبب حوادث تفقد المجتمعات لذة الأمن وحلاوته .

قال تعالى فى كتابه الكريم محرما الخمر على عباده المؤمنين :

« يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ».

[المـــائدة ٩٠]

ثم بين جل شأنه حكمة هذا التحريم بأنها الســـبيل الى وقوع العداوة والبغضاء والتشاحن بين الناس . وأنها تمنع عن ذكر الله واقامة الصلاة فقال سبحانه وتعالى :

« انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء

فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهـــون » .

[المـائدة ٩١]

واذا عرفنا كما سبق أن ذكر الله يشـــمل كل عمل يقوم به المسلم وقلبه متصل بالحق لتبين لنا مدى الخسارة التى تتحقق من المسكرات لأنها تحرم المجتمع من ثمار عقل واع اتصل بقلب مطمئن بالحق فأنتج روائع العقل البشرى. هذا فضلا عما تشيعه المسكرات من بقية المساوىء الأخرى التى تشيع القلق فى المجتمعات البشرية وتحرمها من الأمن والطمأنينـــة .

٣ ــ دعوة العقل الى جولة فى الآفاق :

ان هذه الدعوة فى حد ذاتها هى تحرير للعقـــل من القيود التى تكبله وتجعله يتعثر تحت ضـــغط الحاجـــات والمطالب ، حيث أنه بتجوله فى الآفاق سيشعر بعظمة الخالق وقوته ، فيستمد منه مددا وقوة لينهض بالأعبـــاء التكليفية التى خلق من أجلها ، كما أن هذه الجولة ستوقظه من سبات الغفلة وتفتح كل ما فيه من أذن واعية ومن طاقة فكرية :

« ان فى خلق الســـماوات والأرض واختـــلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب » .

[آل عمران ١٩٠]

« أفلم يســـيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بهـــا » .

[الحج ٤٦]

« وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السـماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » .

[البقرة ١٦٤]

ان هذه الدعوة بلا شك موعظة وعبرة من كل الوجوه:

● فمن تشـــبع فى العقل البشرى حبه الى المعرفة والاذعان أمام القوى المادية . ولهذا وجه المنهج الربانى

الادراك البشرى لملاحظة بدائع الصنعة الالهية فى الوجود كله وهى فى ذاتها خوارق معجزة ولكنها خوارق دائمة يقوم عليها كيان الوجود ويتألف منها قوامه :

« أو لم يروا أن الله الذى خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم » .

[الاسراء ٩٩]

« وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا » .

[مريم ٩]

« أو لم ينظروا فى ملكوت السماوات والأرض » .

[الأعراف ١٨٥]

« أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والأرض مددناها والقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج » .

[ق ٦ و ٧]

« أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الأرض كيف سطحت » .

[الغاشية ١٧ — ٢٠]

● وهذه الدعوة فيها شحذ للعزائم فيعرف الانسان أن حل مشاكله ليس بالتراخى وندب الحظ انما بالعمل والتفكير والارادة :

« قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق » .

[العنكبوت ٢٠]

«خلق الانسان من عجل سأوريكم آياتى فلا تستعجلون»

[الأنبياء ٣٧]

« ان فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من

كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » .

[البقرة ١٦٤]

● ان هذه الدعوة فيها تذكرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد :

« قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل » .

[الروم ٤١]

« وانكم لتمرون عليهم مصبحين . وبالليل أفلا تعقلون » .

[الصافات ١٣٨]

٤ ــ مخاطبة العقل بما هو أهل له :

لا يوجد منهج يكرم العقل الانسانى مثلما يكرمه الاسلام ، ولا يوجد دين يشبع التطلعات العقلية ويجيب على تساؤلاتها مثلما يجيب الاسلام . ولا عجب فانه خاتم الأديان والرسالات جاء ليتلاءم مع النضج البشرى والقدرات العقلية المتطورة الى آخر الزمان والأجيال .

وقد نطق بهذه الحقيقة أعرابى على فطرة الله لم يتلون بأجهزة التوجيه والتأثير من شياطين الجن والانس عندما سأله الناس : لم آمنت بمحمد ؟ فقال : لأن دينه لم يأمر بشىء وقال العقل ليته ما أمر . وما نهى دينه عن شىء وقال العقل ليته ما نهى .

ــ ولذلك فقد قام القرآن أساسا على مخاطبة العقول البشرية لتدرك الحقيقة الأولى وهى أن هذا الدين من عند الله .

« أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » .

[النساء ٨٢]

« أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » .

[محمد ٢٤]

« افلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يـأت آباءهم الأولين .

[المؤمنون ٦٨]

« كتاب انزلناه إليـك مبارك ليدبروا آياته وليتـذكر أولوا الألباب » .

[ص ٢٩]

ـ وقام القرآن ثانيا على وجود احكام اساسية الحكم فيها لله ، وذلك حماية للعقل لأنه لا يدرك الا ادراكا ناقصا فى المدى المحدود ، ويستحيل أن ينظـر من جميع الزوايا والى جميع المصالح لا فى اللحظة الواحدة ولا فى التاريخ كله ، بينما شريعة الله تنظر هذه النظرة فلا ينبغى أن يكون الحكم فيها أو فى حكم ثابت قطعى من احكامها موكولا الى الادراك البشرى . قال تعالى :

« ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين » .

[الانعـام ٥٧]

« افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنـون » .

[المـائدة ٥٠]

« الا له الحكم وهو أسرع الحاسبين » .

[الانعـام ٦٢]

« وكذلك انزلناه حكما عربيا » .

[الرعـد ٣٧]

ـ وقام القرآن ثالثا على فتح المجال للعقول البشرية فيما لا نص فيه مما يجد من الأقضية فى حدودها أمر به الله ورسوله . وهذا هو مجال الاجتهاد الحقيقى بالقدر الذى اراده الله له من التكريم فى مجاله الذى يحسنه وهو معرفة نواميس الكون والابداع فى عالم المادة وهو ملك عريض . وقد اقتضى هذا الأمر تربية طويلة وتوجيها كبيرا حتى يألف الادراك البشرى هذا اللون من النقلة وهذا المدى من الرقى وحتى يتجه الانسان الى قراءة سـفر الوجود بادراكه

البشرى فى ظل التوجيه الربانى والضبط القرآنى والتربية النبوية . قراءة هذا السفر قراءة غيبية واقعية ايجابية فى آن واحد وبذلك ينقل البشرية الى عهد الرشد العقلى الذى يتلاءم مع تطور الأجيال :

« قل انظروا ماذا فى السماوات والأرض » .

[يونس ١٠١]

« فلينظر الانسان مم خلق . خلق من ماء دافق » .

[الطارق ٥ ، ٦]

« انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه . ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون » .

[الأنعام ٩٩]

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ».

[التوبة ١٠٥]

ان رسول الله صلوات ربى وسلامه عليه كان بحق خير من بلغ الرسالة وادى الأمانة حيث كان فى كل خطوة من خطواته سلوكا تطبيقيا للمنهج الربانى فاستنهض الهمم ووضع العقل البشرى فى مكانته اللائقة به فكان يستشير أصحابه فى كل الأمور التى لم ينزل بها وحى وفتح مجال الاجتهاد على مصراعيه حيث قال أنه للمجتهد اذا أصاب أجران ، واذا أخطأ أجر .. فأى تقدير للعقل أعظم من هذا التقدير وأى أمن له من التيه تحت ضغط التيارات الدنيوية أحكم من هذا الأمن : فهناك كتاب الله وسنة رسوله الكريم وسنة الخلفاء الراشدين ، لا يمكن أن يضل عقل أبدا استضاء بنورهم وسار فى هديهم ، واجتهد ما وسعه الجهد تحت ظلهم . وصدق الله العظيم اذ يقول :

« فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى » .

[طه ١٢٣]

« ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله » .

[لقمان ٦]

« فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم » .

[الانعام ١٤٤]

حقا ان هدى الله هو الأمان للعقل وهو نور للفؤاد . وماذا بعد الهدى الا الضلال ؟ !! .

رابعا ــ تحقيق الأمن للعرض :

ان الاسلام عندما حدد منهجه فى الحفاظ على العرض كان هدفه هداية الناس وحمايتهم من عوامل القلق من الانجراف فى الهاوية واعانتهم على التسامى فى المرتقى الصاعد الى السماوات العلى .

ولذلك فقد اهتم اهتماما بالغا بميدان الحفاظ على الأسرة وتطهير المجتمع وتحديد الصورة النظيفة الوحيدة التى يحب الله أن يلتقى عليها الرجال والنساء وتحريم ما عداها من الصور وتبشيعها وتقبيحها فى القلوب والعيون لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد .

قال تعالى موضحا نعمته الكبرى ومنته العظمى علينا: « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون» .

[الروم ٢١]

وقال جل شأنه : « والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة » .

[النحل ٧٢]

انها القاعدة الأولى فى نظام المجتمع الاسلامى هى الأسرة : جعلها الاسلام وحدة المجتمع وأصدر من القوانين والتشريعات الالهية ما يحقق صيانة هذه الأسرة من كل شائبة ومن كل اختلاط فى الأنساب ينشأ من شيوعية الاتصال الجنسى أو ينشأ من انتشار الفاحشة وتلوث المجتمع بها . ومن أهم تلك القوانين فرض عقوبات صارمة على الزانى والزانية :

فان لم يكونا متزوجين : قال تعالى :
« الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة» .
[النـور ٢]

وان كانا متزوجين : ما ورد فى الحـديث الشريف :
« كان مما يتلى الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله » .

ان الأسرة القائمة على الزواج العلنى الذى تخصص فيه امرأة بعينها لرجل بعينه ، ويتم به الاحصان — وهو الحفظ والصيانة — هى أكمل نظام يتفق مع فطرة الانسان وحاجاته الحقيقية الناشئة من كونه انسانا ، لحياته غاية أكبر من غاية الحياة الحيوانية — وان كانت تتضمن هذه الغاية فى ثناياها ويحقق أهداف المجتمع الانسانى كما يضمن لهذا المجتمع الأمان المطلق : أمن الضمير وأمن البيت وأمن المجتمع فى نهاية المطاف .

والملاحظ بصفة ظاهرة أن الطفل الانسانى يحتاج الى فترة رعاية أطول من الفترة التى يحتاج اليها طفل أى حيوان آخر .

كما أن التربية التى يحتاج اليها ليصـبح قادرا على ادراك مقتضيات الحياة الانسانية الاجتماعية تمتد الى فترة طويلة أخرى . لذلك فان غاية الميل الجنسى فى الانسـان لا تنتهى عند تحقيق الاتصال الجنسى والتناسل مثل الحيوان بل تمتد الى هدف أبعد هو الارتباط بين الرجـل والمرأة ليتم اعداد الطفل الانسانى بحمايته وحفظ حياته وتزويده برصيد من التجارب الانسانية والمعرفة الانسانية مما يؤهله للمساهمة فى حياة المجتمع الانسانى والمشاركة فى رقيه .

ومن ثم أصبحت اللذة الجنسية مجرد وسيلة ركبتهـا الفطرة فيهما ليتم الالتقاء بينهما . وبالتالى فان تخصيص امرأة لرجل بالزواج هو الوضع الصحيح حتى لا يصـبح الهـوى الشخصى هو الحكم فى بقاء الارتباط بين الذكر والأنثى . انما

الحكم هو الواجب فى رعاية النسل الضعيف الذى يجىء ثمرة للالتقاء بينهما .

وهكذا نجد الاسلام اهتم غايةالاهتمام بالحفاظ على هذه العلاقة بين الرجل والمرأة وكفلها بسياج منيع وجعلها مكفولة بحدود وشرائع لا يحق لمسلم يؤمن بالله وباليـــوم الآخر أن يقترب منها فضلا عن تخطيها .

قال تعالى :

« تلك حدود الله فلا تقربوها . كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون » .

[البقرة ١٨٧]

قال صلى الله عليه وسلم :

(ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه) .

وقال : « يا معشر الشباب من استطاع منكم البـــاءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » .

« لم تظهر الفاحشة فى قوم حتى يعلنوا بها الا فشى فيهم الأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم » .

« ما شاع الربا والزنا فى قرية الا أحلت بنفسها غضب الله » .

« ان الله عز وجـــل يغار وغيرة الله أن يأتى المؤمن ما حرم الله عليه » .

ـــ ان الله ضرب مثلا صراطا مســـتقيما ، على كنفى الصراط داران لهما أبواب مفتحة على الأبواب ستور وداع يدعو فوقه : « والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مســـتقيم » . والأبواب التى على كنفى الصراط حدود الله فلا يقع أحد فى حدود الله حتى يكشف الستر والذى يدعو من فوق واعظ ربه عز وجل .

أما ما يريده الذين يتبعون الشهوات فهـــو أن يطلقوا الغرائز من كل قيد : دينى أو أخلاقى أو اجتماعى فهذا معناه انطلاق السعار الجنسى المحموم بلا حاجز ولا كابح فلا يقر

معه قلب ولا يسكن معه عصب ولا يطمئن معه بيت ولا يسلم معه عرض ولا تقوم معه أسرة .. وهو يمثل مشقة وجهد وقلق فى حياة المجتمعات ، ومعناه تحطيم قواعد المجتمع الانسانى كله واشاعة القلق والاضطراب بحرمان الأطفال من جو الأسرة الهادىء المطمئن الآمن من عواصف الشهوات الجامحة والثروات المتقلبة والهوى الذاهب مع الريح . وهذا الهدوء ضرورى جدا للنهوض بأمانة الجنس البشرى كله ، وهى شىء آخر غير مجرد التناسل الحيوانى ، وغير مجرد الالتقاء الشهوانى على أساس العواطف وحدها . انه العلاقة المقدسة القائمة على الواجب الايمانى الذى يحقق الأمن والطمأنينة .

ان حماية الاسلام للعرض هو حماية لعرض كل المؤمنين من العدوان عليه : قال جل شأنه محذرا من هذا الانتهاك :

« وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون » .

[الشعراء ٦٦]

ولنعرف عظمة الوصف الالهى بأن نرك ما أحل من الأزواج الى غير ما أحل بأنه عدوان يشمل المجتمع بأسره يمكن النظر الى حياة المجتمعات التى تحررت من قيود الدين والأخلاق والحياء فى هذه العلاقة :

لقد كانت فوضى العلاقات الجنسية هى المعول الأول الذى حطم الحضارات القديمة : حطم الحضارة الاغريقية وحطم الحضارة الرومانية ، وحطم الحضارة الفارسية. وهذه الفوضى ذاتها هى التى أخذت تحطم الحضارة الغربية الراهنة . وقد ظهرت آثار التحطيم شبه كاملة فيما يلى(*).

ـ فى الأدب الفاحش الخليع الذى يدعو الى انهيار المثل والمبادىء .

(*) الشهيد سيد قطب « فى ظلال القرآن » الجزء الخامس .

ـ فى الأفلام السينمائية التى تذكى فى النـاس عواطف الحب الشهوانى المدمرة .

ـ فى انحطاط المستوى الخلقى فى عامة النساء الذى يظهر فى عريهن وفى اكثارهن من التدخين واختلاطهن بالرجال بلا قيد ولا التزام .

ـ انتشار موجة الاجـرام بين المراهقين والمراهقات والادمان على المخدرات وجرائم الاعتداء على النساء والفتيات الصغيرات وانتشار الأمراض السرية الفتاكة .

ـ انتشار الاضطرابات العصبية وضعف القوى العقلية وهو من أكثر العناصر فى جلب التعاسة للأفراد وتحطيم الأسر . وهو أكثر خطورة على الحضارة من الأمراض المعدية التى قصر علماء الصحة والأطباء اهتمامهم عليها حتى الآن .

ـ وجد أن الذين يبيعون أسرار أمريكا وبريطانيا العسكرية لأعدائهم لا لأنهم فى حاجة الى المال ولكن لأن بهم شذوذا جنسيا ناشئا من آثار الفوضى الجنسية السائدة فى المجتمع .

ـ هناك مكاتب مهمتها البحث عن الزوجات الهاربات والبحث عن الأزواج الهاربين وذلك فى مجتمع لا يدرى فيه الزوج ان كان سيعود فيجد زوجته فى الدار أم يجدها قد طارت مع عشيق ولا تدرى الزوجة ان كان زوجها الذى خرج فى الصباح سيعود اليها أم ستخطفه أخرى أجمل منها أو أشد جاذبية !!

مجتمع تعيش فيه البيوت فى مثل هذا القلق كفيل بأن يحطم كل سعادة مادية يحصل عليها المرء .

ـ هناك انخفاض مستمر فى نسبة المتزوجين وارتفاع مستمر فى نسبة عدد المواليد غير الشرعيين . وهكذا تزيد

نسبة الحياة القلقة الشريدة التى يعيشها هـؤلاء الأطفـال مما ينعكس على المجتمع بأسره .

ـ ان سهولة تلبية الميل الجنسى ، وفوضى العلاقات الجنسية والتخلص من الأجنة والمواليد ، لا تدع مجالا لتكوين الأسرة ولا لاستقرارها ، مما يؤدى الى الاتجاه نحو انقراض النسل . هذا مآله زوال الحضارة والاجتماع والفناء آخـر الأمر .

صدقت يارب العزة يا من قلت وقولك الحق :

« ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن » .

[الأنعام ١٥١]

ثـم خصصت الزنى بمزيد من التخصـيص ومزيد من النهى فقلت :

« ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا » .

[الاسراء ٣٢]

وقال رسولك الكريم صلوات ربى وسلامه عليه :

ـ لا يسرق السـارق وهو مؤمن ، ولا يزنى الزانى وهو مؤمن . الايمان أكرم على الله من ذلك .

ـ لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله الا باحدى ثلاث :

الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتـارك لدينـه المفارق للجماعة .

ـ ان الزناة تشتعل وجوههم نارا .

ـ الزنا يورث الفقر .

ـ تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادى مناد : هل من داع فيستجاب له ؟ هل من سائل فيعطى ؟ هل من مكروب فيفرج عنه ؟ فلا يبقى مسلم يدعـو بدعوة الا استجاب الله عز وجل له الا زانية تسعى بفرجها أو عشارا .

ـ وعن عبد الله رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى برجل قد شرب فقال :

يا أيها الناس قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله . فمن أصاب من هذه القاذورة شيئا فليستتر بستر الله ، فانه من يبد لنا صفحته نقم عليه كتاب الله وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون . وقال : قرن الزنا مع الشرك . وقال : ولا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن .

وهكذا فان الذين يحسبون أن التقيد بمنهج الله وبخاصة فى علاقات الجنسين أمر شاق ومجهد يعيشون فى وهم كبير ، فاطلاق الشهوات من كل قيد وتحرى اللذة فى كل تصرف ، والتجرد فى علاقات الجنسين من كل قيد أخلاقى ومن كل التزام اجتماعى . هذا كله يبدو يسرا وراحة وانطلاقا ولكنه فى حقيقته مشقة وجهد . ونتائجها فى حياة المجتمع بل فى حياة كل فرد هو القلق وفقدان الأمن والانهيار فى النهاية .

وانه لمفخرة للاسلام ذلك المنهج الذى وضعه الحكيم والخبير فى المحافظة على العرض وتحقيق كل دواعى الأمان له ، لأنه علامة مضيئة وحجر راسخ فى حياة المجتمعات الاسلامية يجعلها تعيش آمنة مطمئنة فى كنف الاسلام الذى جاء من رب رحيم على يد رسول الرحمة الذى أعلنها بكل يقين الايمان : وبكل نقاء الرسالة وصفائها وأمنها كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه .

خامسا ــ تحقيق الأمن للمال :

ان المال هو عصب الحياة وقوام حياتها وعليه يتوقف تقدم المجتمعات ونهضتها ورخائها وعليه أيضا يتوقف أمن تلك المجتمعات وطمأنينتها اذا أمنت بالطريقة المثلى لتداول المال بين الأفراد .

ولأهمية المال القصوى فى ادارة عجلة الحياة فان المنهج الاسلامى اهتم اهتماما بالغا بكل منفذ وكل طريقة يتم بها تداول المال سواء فى الاستهلاك أو الادخار أو

الاستثمار أو كيفية توزيع الدخول . ليس هذا فقط بل انه اهتم بالمـــال بعد وفاة المسلم عن طـــريق قوانين الميراث ، واهتم بالمحرومين من المـــال ففرض لهم الزكاة كركن أساسى من أركان الاسلام الخمسة وأضاف لهم الصدقات فى حدود الثلث مما أفاض الله به على خلقه ووسع عليهم فى رزقهم .

هناك قاعدة أساسية فى التشريع الاسلامى يتفـــــرع عنها مواد فرعية كثيرة كلها تهدف الى تحقيق الأمن للمـــال . هذه القاعدة مكتوب على بابها :

« يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالبـــاطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيمـــا » .

[النســـاء ٢٩]

انه نهى عام عن كل طريقة يتم بها تداول الأموال لم يأذن بها الله أو نهى عنها ومنها السرقة والغش والرشـــوة والقمار واحتكار الضروريات لاغلائها وجميع أنواع البيـــوع المحرمة والربا فى مقدمتها . وعقب ذلك النهى بما يوحى بالآثار المدمرة التى ينشئها أكل الأموال بالباطل فى حياة الجمـــاعة انها عملية قتل للمجتمعات حيث يباع فيها ما ليس يبـــــاع كالعرض والذمة والضمير والخلق والدين .

فما هى الخطوات التفصيلية التى انتهجها الاسلام لتحقيق الأمن للمـــال ؟

١ ــ تشديد عقوبة السرقة والاعتداء على الملكية الفردية والاعتـــداء على أمن الجمـــاعة :

ان المجتمع المسلم يوفر للناس ــ على اختلاف عقائدهم ــ ما يدفع خاطر السرقة عن كل نفس سوية . انه يوفر لهم ضمانات العيش والكفاية . وضمانات التربية والتقـــويم . وضمانات للعدالة فى التوزيع .وفى الوقت ذاته يجعل كل ملكية فردية فيه تنبت من حلال ، ويجعل الملكية الفردية وظيفـــة اجتماعية تنفع المجتمع ولا تؤذيه . ومن أجل هذا كله فمن

حقه اذن أن يشدد فى عقوبة السرقة . قال تعالى وهو أحكم الحاكمين :

« والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا ـ نكالا من الله ـ والله عزيز حكيم . فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه ، ان الله غفور رحيم » .

[المائدة ٣٨ ـ ٣٩]

ان قطع اليد تنكيل من الله رادع لكل من تحدثه نفسه بالسرقة . وهو رحمة بالجماعة كلها لأنه يوفر لها الطمأنينة والأمن .

٢ ـ تحريم الاكتناز :

ان اكتناز الأموال وحبسها عن التداول هو تعطيل لوظائفها الأساسية وحرمان المجتمع المسلم من الخير الذى سيعود عليه باستثمار تلك الأموال ومواجهة مطالبه واحتياجاته الأساسية وتحقيق الأمن لحياة الفقراء بعيدا عن شظف العيش . قال تعالى فى كتابه الكريم محذرا أشد التحذير لكل من تسول له نفسه اكتناز النقود وحبسها عن الاستثمار فى الأغراض التى حددها الله لنا لتحقيق الرفاهية والتقدم للمجتمع المسلم :

« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » .

[التوبة ٣٤ ـ ٣٥]

ويضرب لنا الله فى القرآن الكريم أمثلة لقوم كنزوا المال فعوقبوا بالدمار . فها هو ذا قارون يؤتى من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة . ويأمره قومه بالاحسان كما أحسن الله اليه فيقول : « انما أوتيته على علم عندى » .

[القصص ٧٨]

فيكون المـــآل : « فخسفنا به وبداره الأرض » .
[القصص ٨١]

وها هو ذا ثعلبة يعاهد الله ان آتاه مالا ليصـــدقن وليكونن من الصالحين فيؤتى المـــال ويبخل به ويكنزه فتكون العاقبة : « فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه » .
[التوبة ٧٧]

٣ ــ تحـــريم الربا :

ان تحريم الربا من أعظم الاجراءات فى المنهج الاسلامى لتحقيق الأمن للمـــال . فالربا هو توجيه المـــال أى وجهة الهدف منها زيادة الربح بصرف النظر عن نوعية الاســـتثمار الموجه اليه ، هذا المال ، حتى ولو كان فى أحط المشروعات المثيرة للغرائز ، والمحطمةللكيان الانسانى. ان هذا الاستثمار وان كان فى ظاهره يحقق عائدا مجزيا الا أنه فى باطنه يحقق عائدا سلبيا ليس على المجتمع ككل فقط ، وانما على المستثمر نفسه . لأن الربا يثقل الصناعة بالفوائد الربوية التى تضاف الىأصل التكاليف ويثقل التجارة والمستهلك بأداء هذه الفوائد التى يفرضها على الصناعة.وهذا يؤدى الى ارتفاع الأسعار مما يؤدى الى ارتفاع تكلفة عوامل الانتاج على المدى الطويل مما يسبب خسارة المستثمر أو انخفاض نسبة ربحـــه . فاذا أراد ارتفاع تلك النسبة فانه سيضطر الى رفع سعر سلعته وهكذا يدخل المجتمع فيما يسمى بالتضخم الحلزونى وهـــو ما يجر أوخم العواقب التى يعرفها الاقتصاديون جيدا ويلمسها رجل الشارع فى ذلك الارتفاع الرهيب فى الأسعار وعـــدم مقدرته على الوفاء باحتياجاته الأساسية بنفس الدخل الذى كان يحصل عليه فيما مضى . وهذا يؤدى الى انتشار الفقر وزيادة وطأة أعباء الحياة على الناس وهو ما يرفضه الاسلام أساسا لأنه دين العزة والقوة والرخاء . قال تعالى فى محكم كتابه الكريم لينهى الناس عن التعامل بالربا لآثاره الضارة على تداول الأموال :

« وما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس فلا يربوا عند الله » .

[الروم ٣٩]

« الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا . فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم » .

[البقرة ٢٧٥ — ٢٧٦]

« يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة » .

[آل عمران ١٣٠]

٤ — تحريم الاحتكار :

حرم الاسلام تحريما قاطعا تخزين كميات كبيرة من الناتج تؤدى الى نقص المعروض منه فى السوق أو اختفائه فلا يجد المسلم حاجته الضرورية الا بأسعار مرتفعة ، وهذا يشكل عناء كبيرا على ذوى الدخول المحدودة ويتنافى أساسا مع العدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعى الذى بنى عليهما الاسلام دعائمه ..

ان الاحتكار معناه تحكم القلة فى الأغلبية . معناه قلق الناس وخوفهم الدائم من ارتفاع الأسعار بحيث لا يقدرون على مواصلة مسيرتهم فى الحياة . معناه استغلال حاجة المسلمين لتحقيق أرباح طائلة وهو ما يرفضه الاسلام مضمونا ومعنى ونهجا فى الحياة لمن رضى بالله ربا وبالاسلام دينا .

قال تعالى فى بيان عقوبة المحتكر الذى يسبب بتصرفه هذا تضخما اقتصاديا يجر الويلات على المجتمع بأسره :

« انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا ، أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم

من خـــلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزى فى الدنيـــا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » .

[المـــائدة ٣٣]

وقال صلوات الله وسلامه عليه تأكيدا لذلك المنهج الربانى :

« من دخل فى شىء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم ، كان حقا على الله أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة » .

« من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والافلاس » .

« من احتكر طعاما أربعين يوما فقد برىء من الله وبرىء الله منـــه » .

« من احتكر الطعام أربعين يوما ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره » .

« بئس العبد المحتكر ان سمع برخص ساءه وان سمع بغـــلاء فـــرح » .

فأى أمن يشعر به الانسان على ماله واحتياجاته وهو يعيش فى مجتمع تظلله تلك القوانين الســـامية حيث ترتقى بالبشرية الى قمم سامقة ؟ !

٥ ـــ الاهتمام بتوثيق الدين :

لمـــا كان الاسلام دين الحياة فهو يراعى تلك الضرورة التى تلجأ الناس الى الدين ، فنظمها أروع تنظيم بالمحافظة على حق الدائن والمدين حماية لحقوق كل منهما فى تبـــادل الأموال . فجعل آية الدين أطول آيات فى القرآن الـــكريم وأمر فيها بكتابته كما أباح الرهن لتوثيق الدين . قال تعالى فى دستوره الحكيم :

« يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله ، فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتـــق الله ربه ولا يبخس منه شيئا ، فان كان الذى عليه الحق ســـفيها

او ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعـدل . واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامراتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ، ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله ذلكم أقسط عنـد الله وأقوم للشـهادة وأدنى ألا ترتابوا ، الا أن تكون تجـارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم » .

[البقرة ٢٨٢]

« وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة . فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الـذى أؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم » .

[البقرة ٢٨٣]

اى أمن واى روعة أعظم من ذلك التنظيم البديع للدين ؟! فلا هضم للحقوق ولا ضياع للأموال بل احكام وأمان من لدن حكيم خبير .

٦ ـ الحفاظ على مال الضعيف :

ان تداول المـال فى المجتمع يسـتلزم خبـرة ودراية عظيمتين . وكنز المـال ممنوع فى الاسلام . اذن ما هو الحل بالنسبة لمن عنده مال ولكنه ضعيف عن استثمار هذا المال مثل اليتيم والسفيه . هنا يتدخل الشرع ليحكم حكمه العادل :

ـ بالنسبة لليتيم فعلى ولى أمـره أن يسـتثمر ماله بالحكمة . بما يعود على اليتيم بالنفع ، وليحذر من تسول له نفسه بأن يستحل شيئا من هـذه الأموال . قال تعالى :

« ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا » .

[النساء ١٠]

« حتى اذا بلغ اليتيم رشده واصبح قادرا على استثمار أمواله بنفسه وجدها قد نمت وربت مع الزمن فيستطيع ولى الأمر حينئذ أن يطمئن باله ويرتاح من المهمة التى كلفه الله بها والقاها على عاتقه فقام بها خير قيام عملا بقول الله عز وجل :

« وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا » .

[النساء ٢]

« وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيـــا فليستعفف ومن كان فقـــيرا فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا » .

[النساء ٦]

ـــ بالنسبة للسفيه فليس من الحكمة ترك المـــال بين يديه يبعثره كيفما يتراءى له خياله المريض . مما ينعكس آثاره السيئة على المجتمع الاسلامى ككل . ولذا كان حكم الله سبحانه جل شأنه بأن يكون هناك من يتولى أمر السفيه ويحرص على ماله لأن المـــال قوام الحياة وله الدور الايجابى فى ادارة عجلتها قال تعالى :

« ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا » .

[النساء ٥]

٧ ـــ تحريم الغش والرشوة :

ان الغش والرشوة وسيلتان للحصول على حقوق بدون وجه حق وهما وبال على المجتمع عندما يصاب بداء التراخى وحب الكسب السريع . انهما يؤديان الى أسوأ تداول للمال يعود بأوخم العواقب على الاقتصاد القومى كله . ولهذا

كان هناك من القوانين الالهية ما يردع تلك الأمراض الفتاكة التى يمكن أن تصيب النفوس البشرية وتحرم المـــال من أمن التداول فيما خلق الله له .

قال تعالى فى كتابه الكريم بشأن تحريم الرشوة :

« ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بهـــا الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون » .

[البقرة ١٨٨]

وقال صلى الله عليه وسلم :

« لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ؟ وعن شبابه فيم أبلاه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟ وعن علمه ماذا عمل فيه ؟

« لعن الله الرشوة والرائش والمرتشى » .

أما بشأن الغش الـــذى يؤدى الى الحصول على أموال بطرق غير مشروعة فانه بخس لحقوق الناس وفساد فى الأرض ما بعده فساد ، له عقوبة تقطيع الأيدى والأرجل من خلاف لأنه سمع قول الحق تبارك وتعالى ولم يستجب له :

« يا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين » .

[هود ٨٥]

ولأنه خرج من تبعية أمة محمد الرسول الأمين الذى قال صلوات ربى وسلامه عليه . (من غش أمتى فليس منى).

ان ما عرضناه من مقتطفات عن كيفية تحقيق المنهج الاسلامى الأمن للمال يعتبر قطره من محيط لأن ذلك المنهج عظيم كل العظمة عميق كل العمق فأنى لقلم أن يوفى ذلك المنهج حقه ويكفينا أن نردد قـــول الحق سبحانه وتعالى :

« ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم » .

[لقمان ٢٧]

[صدق الله العظيم]

خاتمة نسأل الله حسنها

ما أجمل نعمة الأمن النابع من الايمان . قال الخليل ابراهيم لقومه كما ورد فى القـرآن الكريم : « وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا . فأى الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون . الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ».

واذا سئلت عن الاسـلام فقل انه الأمان الشامل فى العرض والمـال والنفس والعقل وما أصدق قول الله جل شأنه فى حديثه القدسى : يابن آدم عندك ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك . لا بقليل تقنع ولا من كثير تشبع . اذا كنت معافى فى بدنك آمنا فى سربك . عندك قوت يومك . فقد حيزت لك الدنيا بحذافيرها »

لقد ضمن الاسـلام الأمن للانسان أيا كان موقعه : **آمنه على عقيدته** « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » « ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا . أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » .

آمنه على نفسه : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » . « الآدمى بنيان الرب . ملعون من هدمه » كما قال الرسول صلوات ربى وسلامه عليه . وقال أيضا صلى الله عليه وسلم : « من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه : آيس من رحمة الله » .

آمنه على عقله : فحرم من الأشربة ما يودى بهذا العقل « يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » . « يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر

والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة . فهل أنتم منتهون » . وما أجل قوله تعالى « ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث » .

روت أم سلمة رضى الله عنها . قالت : نهى رسول الله عن كل مسكر ومفتر . والمفتر هنا كل ما يضعف الصحة . فالقاعدة الأساسية فى الاسلام « لا ضرر ولا ضرار » .

آمنه على عرضه : « ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا » . « ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة . والله يعلم وأنتم لا تعلمون » . « ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قذف محصنة يهدم عمل مائة سنة » .

آمنه على ماله : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله . والله عزيز حكيم » . « يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم » . . قال صلى الله عليه وسلم : « لا يحل مال امرىء مسلم الا بطيب نفس منه » وقال أيضا : « ما أخذ بسيف الحياء فهو حرام » . « نعم المال الصالح للعبد الصالح » .

والقول الفصل ما جاء فى قوله تعالى : « ولا تعتدوا انه لا يحب المعتدين » . وقوله جل شأنه . « فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم » . والاعتداء هو تجاوز الحد الذى بينه الله عز وجل فى قوله : « تلك حدود الله فلا تعتدوها . ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » .

وسواء كان الاعتداء على النفس أو على العقل أو على العرض أو على المـــال أو على العقيدة بالاكراه . « كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها » . فان لله تعالى واجبات يجب على المسلم أن يقف عندها موقف العناية والصيانة والرعاية . فقد فرض تعالى فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم حرمات فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تسألوا عنها » .

وهنا يشعر المسلم بالأمن والأمان والطمأنينة ويحلق فى السموات العلى بعقيدة المؤمن الواثق بربه الرحمن الرحيم والمتبع لهدى رسوله المبعوث رحمة للعالمين . وصدق الله العظيم اذ يقول :

« الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » .

حينما بدأنا نشر هذه السلسلة من كتب فضيلة الشيخ كشك غفلنا عن ذكر تسلسل حياته .. لأنه غنى عن التعريف .. ولكن استجابة لرسائل القراء التى تصلنامن مختلف أنحاء العالم الاسلامى والتى تطالبنا بمعرفة حياة الداعية الكبير نقدم لهم حياة المؤلف فى سطور :

- عبد الحميد عبد العزيز كشك .
- من مواليد بلدة شبراخيت محافظة البحيرة عام ١٩٣٣ .

التحق بجمعية تحفيظ القرآن الكريم ، حيث اتم حفظه للقرآن وهو فى الثانية عشرة من عمره .

- التحق بالقسم الابتدائى بمعهد الاسكندرية الدينى .
- وبعد حصوله على الشهادة الابتدائية ، أنعم الله عليه بفقد البصر ، فواصل الطريق فى طلب العلم بجد ومثابرة ، بعد ما قضى حولين من عمره يطلب العلاج ، ولكنه حمد الله على قدره ، فان الله يعوض عن نور البصر ذكاء البصيرة .
- التحق بمعهد القاهرة الثانوى ، وكان الأول على فرقته دائما ، وحصل على مجموع مائة فى المائة عندما انتقل من الثالثة الى الرابعة فى القسم الثانوى ، وفى الشهادة الثانوية حصل على مجموع ٩٨ر٥٪ .
- التحق بكلية أصول الدين ،حيث حصل على الشهادة العالمية ، وكان ترتيبه الأول ، ومثل الأزهر الشريف فى عيد العلم عام ١٩٦١ .
- حصل على شهادة العالمية مع تخصص التدريس العالى .
- عمل اماما وخطيبا بمساجد وزارة الأوقاف .
- خطيب وامام مسجد عين الحياة (الملك سابقا) منذ عام ١٩٦٤ والآن يوجه دعوته على منبر مسجد عين الحيـاة بشارع مصر والسودان بالقاهرة .

- مراسلات الشيخ كشك على العنوان التالى :

الشيخ عبد الحميد كشك

٣٩ فتحى موسى ــ سكة الوايلى ــ أرض الجمعية ــ حدائق القبة ــ القاهرة

النـــاشر

فهـــرس

الموضوع **الصفحة**

مقدمة ٥
الأمن فى ظل الإسلام ٧
مفهوم الأمن الإسلامى ١٤
المنهج الإسلامى لتحقيق الأمن ٣٩
خاتمة نسأل الله حسنها ١٠٣

رقم الايداع ٨٧٧٨ / ١٩٨٧

الترقيم الدولى ٨ـ٠٧٢ـ١٣٦ـ٩٧٧ ISBN

مطابع الاهرام التجارية

مطابع الاهرام التجارية القاهرة ـ مصر